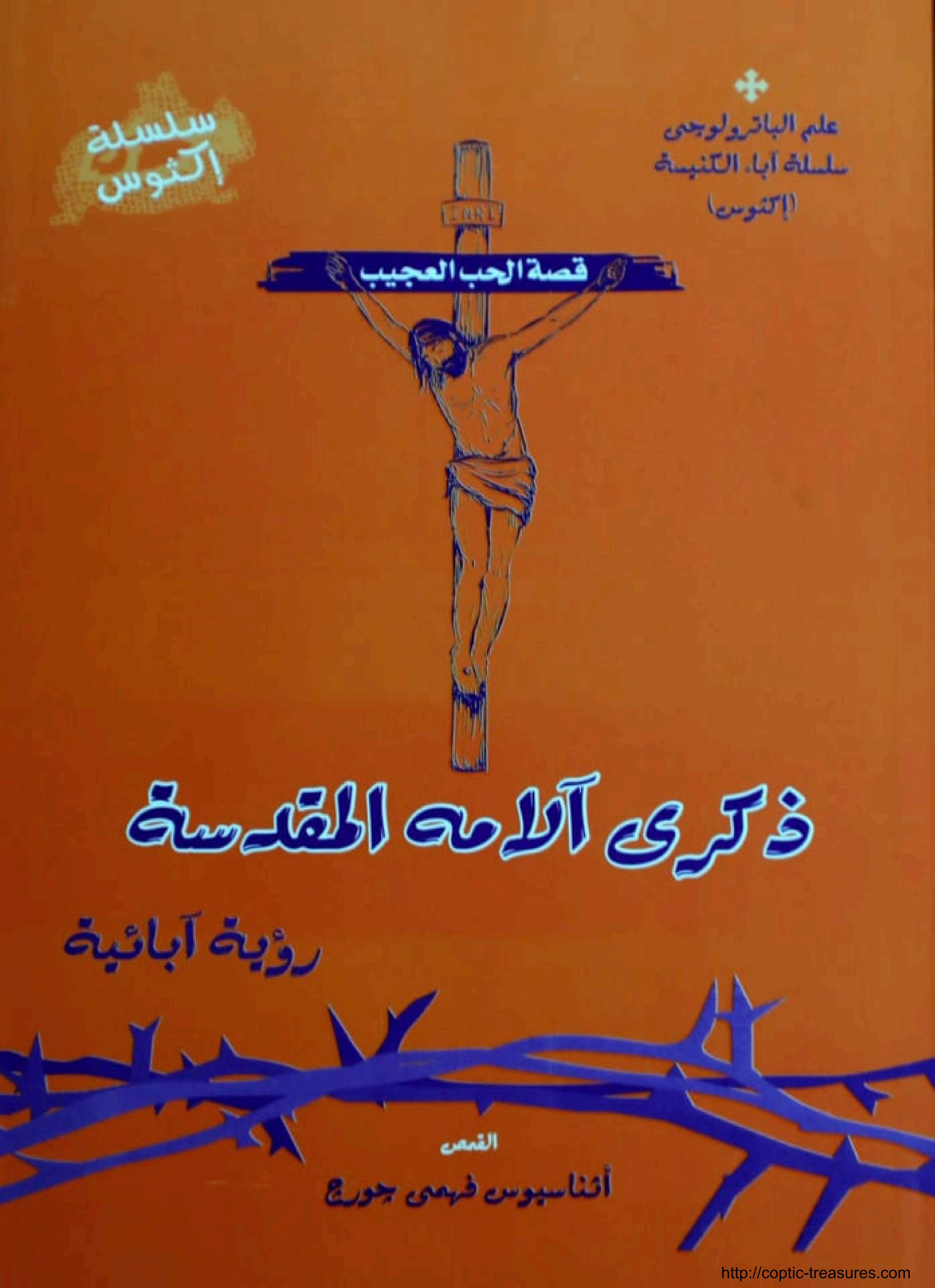
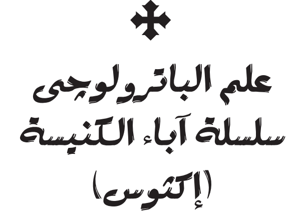
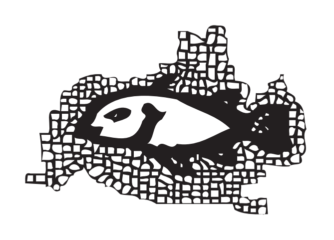
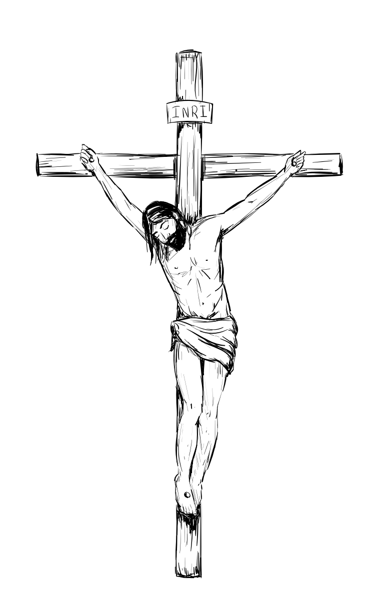

سلسلة إكثوس
علم الباترولوجى
سلسلة آباء الكنيسة
(إكثوس)
INRI
قصة الحب العجيب
ذكرى آلامه المقدسة
رؤية آبائية
القمص
أثناسيوس فهمى جورج
http://coptic-treasures.com





ذكرى آلامه المقدسة

القمص
أثناسيوس فهمي جورج
وكيل إيبارشية أيرلندا وشمال شرق إنجلترا
دبلن



كلمة شكر للأحباء

الدكتور سامح حيمي

لتعبه في مراجعة الكتاب

المهندس أنجليوس نبيل هنري

على مايقدمه من جهد في هذه الخدمة

اسـم الـكـتـاب : ذكرى آلامه المقدسة (رؤية آبائية)

تـأليـف : القمص أثناسيوس فهمى چورچ

الـطـبـعـة : الثانية ٢٠١٨

تجهيز فنى وتنفيذ : الرواد ـ ت : ٤٨٤٤٦٢٣ (٠٣)

رقم الإيداع : ٥٩٨٩ / ٢٠٠٠



قداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الطبعة الثانية

أطلقت الكنيسة على أسبوع الآلام الفصحية «كلمة بصخة»، أى عبور. وقد سُمى أسبوع «السر» و«العبور» من الموت إلى الحياة بقيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات. ولهذا الأسبوع شكله وترتيبه الطقسى وقطمارس قراءاته وسواعى عبادته الليتورچية القبطية.

اقترن أسبوع الآلام الخلاصية عند آباء الكنيسة برسائله الفصحية حول تذكار أحداث الآلام والقيامة معاً، أى تذكار المسيح الذى صُلب من أجل خطايانا، وأُقيم من أجل تبررنا. لأن فداء المسيح مخلصنا تم بصليبه المحيي الذى به نبشر، وبقيامته المقدسة التى بها نعترف.

وتأخذنا أمنا البيعة الطاهرة عبر معصرة جثسيماني حيث قطرات العرق المدمم وجهاد الصلاة بأشد لجاجة، ثم إلى رابية الجلجثة «جولجاثا» حتى اعتراف قانون الدفنة، وسهرة خدمة سبت الفرح فى الأبوغلمسيس، ومعاينة فرح هتاف دورة القيامة، مع المسيح القائم الحي الذي أقامنا وأحيانا وجاز الموت ليبطله ويمنحنا الحياة الأبدية، معيدين سبت النور الدائم، مروراً بعبور الساعات الأخيرة للمخلص على الأرض حتى أكمل تدبير خلاصنا الفصحي بالصليب والقيامة المجيدة.

المجد لله الذي أعاننا وأتى بنا إلى هذه الساعة، في ذكرى آلامه المقدسة وبصخته المقدسة، لنسجد للابن الوحيد الجنس أحد الثالوث القدوس الـمُمَجد مع الآب والروح القدس. طالبين أن يهبنا الرب بهجة قيامته بصلوات أبينا صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني، ولله المجد على كل شيء.

مقدمة الطبعة الأولى

يتضمن هذا الكتاب تأملات روحية ولاهوتية وطقسية من أجل فهم أفضل لأسبوع آلام الرب المقدسة، وهي في جملتها رحلة شركة مع المسيح المصلوب من أجل خلاصنا وشفاء طبيعتنا.

يسرني أن أقدمه إِلى أبناء كنيستي الذين أدين لهم بالحب والتشجيع، أقدمه لكل من يشتاق إِلى أن يعيش خبرة البصخة المقدسة التي لمخلصنا الصالح، لكي يكملها لنا المسيح إِلهنا ويباركنا بكل بركة روحية ويُرينا فرح قيامته.

والتأملات التي نقدمها في هذا الكتاب هي تأملات آبائية تعكس روحانية وفكر آباء الكنيسة الأولى، وقد حرصت على تقديمها في صورة مبسطة أكثر منها دراسية لنتذوق لذة الحوار والجلوس عند صليب المخلص.

إِنني أضع هذا الكتاب عند أقدام المسيح المصلوب الذي أحبنا وفدانا، ليجعله سبب بركة لكل من يقرأ ويعمل، ذاكرًا على الدوام محبته وإِحساناته وخلاصه الثمين ونعمته التي تفاضلت جدًا.

أقدم هذا الكتاب ضمن سلسلة «إكثوس» الآبائية التى بدأتها سنة ١٩٨٩ وحتى اليوم، فى عمل تضمن أكثر من ٦٠ كتاباً.

وإِلهنا المبارك الذي صُلب عنا ودعانا لمجده الأبدي في المسيح يسوع يحفظ كنيسته وشعبه، ويحفظنا جميعًا في إِيمانه بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره له المجد والبركة والعزة إِلى الأبد، عمانوئيل إِلهنا وملكنا.

تذكار أسبوع الآلام المقدسة

سنة ٢٠٠٠ م

القمص

أثناسيوس فهمي جورج

وكيل إِيبارشية إِيرلندا وشمال شرق إِنجلترا

Dublin Ireland



أسبوع الآلام
فى طقوس الكنيسة

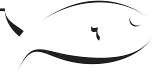
من أجل فهم أفضل لأسبوع البصخة

أسبوع الآلام هو «**أسبوع البصخة**» أي أسبوع العبور، تلك الآلام التي نعيشها في رحلة هذا الأسبوع مع الكنيسة ليكون لا أسبوع آلام عقيمة بل آلام عبور وآلام فصح حي للمسيح فصحنا الحقيقي الذي ذُبح لأجلنا (١كو ٥ : ٧) فإذا قيل أن الصوم الكبير هو ربيع السنة الروحية، فإن أسبوع البصخة هو ربيع الصوم الكبير، لأنه أسبوع الدخول في شركة آلام المسيح ومن هنا جاءت تسميته بالأسبوع المقدس *Holy Week* أو أسبوع الفصح المقدس كما جاء بقوانين الرسل.

وفى هذا الأسبوع تتشح أعمدة الكنيسة بالسواد والأيقونات أيضًا تُجلل بالسواد وكذلك المنجلية وبعض جدران الكنيسة، وغاية الكنيسة من ذلك أن تُذكرنا بآثامنا التي سببت للمخلص هذه الآلام المُرة، وأن يعيش المؤمنون أحداث آلام الرب الفصحية إشارة إلى حزن التلاميذ حين أنبأهم يسوع بموته إذ «ابتدأوا يحزنون» (مر ١٤ : ١٩).

وتتبع الكنيسة مسيحها المصلوب فنخرج معه خارج المحلة لنحمل عاره (عب ١٣ : ١٣)، فنغلق الهيكل ونترك الخورس الأول، خورس القديسين، ونقضى عبادة أيام البصخة في الخورس الأخير، بعيداً عن قدس الأقداس، بعيداً عن الهيكل والمذبح، **لنتذكر أن مسيح الكنيسة المصلوب أبعدوه خارجًا وهو القدوس، ونحن معه حيثما أبعدوه لتكون محلتنا معه حيثما كان، لأنه كان خارج المحلة ليدخلنا إليها آخذاً محلتنا لنأخذ نحن محلته**.

وتتركز القراءات في هذا الأسبوع على أحداث الآلام متتبعين المسيح فيه خطوة بخطوة في الأناجيل الأربعة ونبوات العهد القديم، لذا تضع الكنيسة في كل ساعة



من ساعات أسبوع الآلام فصولًا معينة من نبوات العهد القديم ومن المزامير والأناجيل والطروحات والعظات والطلبات المناسبة وتسبحة البصخة. هذا وتأتى فصول القراءات المتضمنة آلام المسيح في ترتيب يتناسب مع سير أحداث الأسبوع الأخير من حياة الرب على الأرض، ويسير هذا الترتيب على محور واحد ونظام واحد في كل ساعة من الساعات.

توقد شموع ثلاثة يُقال أن الأولى تشير إلى النبوات والثانية إلى الإنجيل والثالثة إلى رسم تذكار الآلام، وهي في جملتها تذكار بأن المسيح هو نور العالم كله الذي تنبأ عنه الأنبياء وكرز به الرسل وتنادى به الكنيسة. فعلامة الصليب هي علامة ابن الإنسان نور العالم الذي أبطل الموت بموته وأنار الحياة والخلود بواسطة إنجيله (٢تى ١: ١٠).



أيوب البار

تطلق الكنيسة على أربعاء البصخة اسم **أربعاء أيوب**، وربما ترجع تسميته بـ «**أربعاء أيوب**» إلى أنه كان يُقرأ في هذا اليوم سفر أيوب الصديق، وكذا للرموز التي يرمز بها أيوب الصديق في آلامه للمسيح (أى ١: ٩، ٢: ٤، ٤٢: ١٠) وفي هذا اليوم يُتلى ميمر هذا البار الذي كان رمزًا للمسيح في تجاربه وآلامه ونصرته.

وكذلك تُطلق الكنيسة على يوم الخميس الكبير اسم **خميس العهد** لأن مخلصنا أعطانا فيه عهدًا جديدًا،

إذ منحنا جسده عربوناً أبدياً «دمي الذي للعهد الجديد» (مت ٢٦ : ٢٨) وتسمى هذا اليوم أيضا بخميس العهد لأنه اليوم الأول للشريعة الجديدة.

تمارس الكنيسة صوم يومي الأربعاء والجمعة من كل أسبوع على مدار السنة منذ العصر الرسولي، لأن في الأربعاء تذكار التشاور على تسليم الرب، وفي يوم الجمعة تذكار صلبه وعمل الفداء العجيب، ولكن لا يُصاما في أيام الخماسين المقدسة.

تسمى الكنيسة يوم السبت بـ «**سبت الفرح**» لأنه يوم فرح وتهلل لنفوس المفديين وللأبرار الذين رقدوا على رجاء الحياة الأبدية، والذين ذهب إليهم المسيح في تلك الليلة وقال لهم فيها «اخرجوا» (أش ٤٩ : ٩) تلك الأرواح التي في السجن (١بط ٣ : ١٩) والتي ماتت على رجاء مجيء المخلص مُشتهى كل الأمم (حج ٢ : ٧)، ويسمى أيضًا بـ «**سبت النور**» لأن فيه أشرق نور القبر «ويكون قبره مجدًا» (أش ١١ : ١٠) وتُخرج من الحبس كل نفوس المأسورين في بيت السجن والجالسين في الظلمة (أش ٤٢ : ٧).

ولا تصلى صلوات الأجبية في أسبوع البصخة ويستعاض عنها **بتسبحة البصخة (ثوك تاتى جوم Θωκ τε †χοⲙ)** لكي نتفرغ لآلام المسيح ربنا فقط، ولكي تصنع الكنيسة تذكار آلامه، اختارت من المزامير ما يشير إلى آلامه وتركت باقي المزامير ـ في هذا الأسبوع ـ مكتفية فقط بما يتعلق بالآلام الفصحية.

لا تصلى القداسات في الثلاثة أيام الأولى من أسبوع البصخة (الاثنين والثلاثاء والأربعاء) وذلك لأن الرب لم يكن قد أسس بعد سر الإفخارستيا، أما في يوم الخميس الكبير فالكنيسة تصلى القداس الإلهي تذكارًا لتأسيس السر والذي أعطانا فيه عهدًا جديدًا، ولا يُخفى عنّا أن ذبيحة القداس هي بعينها ذبيحة الصليب ويسوع إلهنا لم يقدم ذاته إلا في يوم الجمعة. وكان يبقى خروف الفصح تحت الحفظ بغير ذبح في هذه الأيام الثلاثة، ويُذبح في مساء اليوم الرابع عشر الذي هو رمزٌ للمسيح إلهنا،



أما إقامة القداس يوم الخميس فهي لأن الرب قدم فيه جسده ودمه الأقدسين عربونًا للمجد الأبدي.

أسبوع الدموع

إذ أن الرب قد بدأ هذا الأسبوع بالدموع، فبكى عند قبر لعازر (يو ١١ : ٣٥) وبكى على أورشليم «نظر إلى المدينة وبكى عليها» (لو ١٩ : ٤١)، لهذا تحاول الكنيسة أن تجمع دموع الرب في زق عندها لترسم في أذهان أبنائها صورة صلب المخلص وفقًا لقول الرسول بولس: «أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (غلا ٣ : ١) لتذكرهم بما احتمله من الآلام لأجلهم ولترشدهم إلى التوبة للتمتع بالخلاص العجيب.

تسبحة البصخة (لك القوة والمجد..)

أُخذت هذه البصخة من صلاة المسيح ربنا (مت ٦ : ١٣) ومن سفر الرؤيا (رؤ ٤ : ٩، ٥ : ١٢)، وتنشدها الكنيسة مع الملائكة الذين هم أمام العرش يسبحون الحي إلى أبد الآبدين. وتعتبر هذه التسبحة إعلان اعتراف الكنيسة بالخلاص لإلهنا لأن به نلنا الكرامة والمجد والبركة والخلاص، معترفين بقوته ومجده وبركته وعزته وسلطانه، مقرين أنه إلهنا وملكنا، وملك الدهور كلها الذي لا يفنى (١تى ١ : ١٧). ونكرر هذه التسبحة ١٢ مرة لأن الكنيسة رتبت لكل صلاة من صلوات السواعي ١٢ مزمورًا، هذا العدد المذكور في (رؤ ٧ : ٤) والذي يرمز إلى المختارين، لذا نردد هذه التسبحة راجين بتكرارها أن نكون في عِداد المختارين الذين تمتعوا بالخلاص الثمين. ونسبح هذه التسبحة تمجيدًا لمن تألم لأجلنا، وبهذا نعلن اعترافنا بأن الذي نعيش تذكار آلامه هو حي إلى الأبد.

ولأن الكنيسة رتبت لكل صلاة من صلوات السواعي ١٢ مزمورًا، فهي تكرر هذه التسبحة ١٢ مرة وتختمها بالصلاة الربانية مؤكدة أن الذي صُلب هو الله الظاهر في الجسد، لذا نسبحه في قوته لأنه قوتنا وفي مجده لأنه مجدنا الأبدي وفي بركته لأنه باركنا وفي عزته لأنه عز شعبه إلى الأبد.

ومن الملاحظ في تسبحة الآلام أننا نقول في المقطع الأول منها: «لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا»، في صيغة الجمع، وفي مقطعها الثاني نقول: «.. يا ربي يسوع المسيح مخلصي الصالح» بصيغة المفرد، والغرض من ذلك التأكيد على أن ما عمله المسيح إلهنا على الصليب يحتاج إلى إيمان شخصي لقبوله، كما يؤكد أن المسيح إلهنا عندما مات على الصليب، مات لأجلي ولأجلك شخصيًا، مات لأجل كل إنسان فينا باسمه وشخصه. لذلك نجد الرسول بولس يؤكد على هذا المفهوم الشخصي بقوله: «أحبني (أنا شخصيًا) وأسلم نفسه لأجلي» (غلا ٢ : ٢٠). وتعتبر هذه التسبحة شهادة بألوهية وربوبية المسيح المصلوب نرددها مع السمائيين (رؤ ٧ : ٤) للمسيح الذي معنا عمانوئيل إلهنا وملكنا.

وتضيف الكنيسة في تسبحة البصخة «قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً» وهو نفس المزمور الذي يسبح به اليهود بعد أكل خروف الفصح تذكارًا لخروجهم من أرض مصر، وهو المزمور الذي سبح به التلاميذ أيضًا مع الرب يسوع ليلة آلامه: «ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦ : ٣٠). وقد أخذت الكنيسة هذه التسبحة واستخدمتها في يوم الجمعة العظيمة. ذلك لأن المسيح إلهنا أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة. نسبحه في أسبوع آلامه لأنه قوتنا وصخرتنا وملجأنا ومنقذنا ونصرتنا الذي صار لنا خلاصاً من أعدائنا فخلاص الرب مرتبط دائماً بقوته، لأن قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به (رو ١ : ١٦).

وليس اعتباطًا أن تختار الكنيسة هذه التسبحة، فالرب يسوع في صلاته ليلة آلامه خاطب الآب قائلا: «أيها الآب قد أتت الساعة (ساعة الصليب). مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضًا.. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧: ١، ٤، ٥). فمجد المسيح إلهنا هو آلامه وموته التي لأجل خلاصنا وإن بدت في مظهرها عارًا وهوانًا وموتًا، إلا أنها كانت سلم المجد الذي رفعنا عليه ليجذبنا من فوقه وليدوس الموت ويظهر قيامته، ويعلن لكنيسته أنه «كان ينبغي أن يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو ٢٤: ٢٦) والكنيسة تمجده في هذه التسبحة لأنه قهر الجبار عدونا إبليس وانتزع الغلبة لحسابنا.

القُبلة

منعت الكنيسة القبلة بداية من عشية الأربعاء احتجاجًا على قبلة يهوذا الخائنة للرب، ويستمر هذا الأمر حتى يوم السبت، حتى لا تكون القبلة غاشة، بل إن الإنجيل نفسه لا يُقَبّل في قداس خميس العهد من أجل قبلة يهوذا هذه، فقد ذهب يهوذا الاسخريوطي إلى اليهود للاتفاق معهم على الثمن الذي يدفعونه لكي يخون المسيح في مساء يوم الأربعاء، لذلك بحسب تقليد كنيستنا القديم مُنعت القبلة في ذلك اليوم.

الجنازات

منعت الكنيسة إقامة أية صلوات تجنيز في هذا الأسبوع وذلك لأنها منشغلة بتذكار آلام وصلب وموت ابن الله، لذا حرصت ورتبت الكنيسة ألا نشترك في أي حزن آخر غير آلام المسيح عريسها، ولهذا يتم الاكتفاء بالجناز العام بعد قداس أحد الشعانين. فإذا رقد أحد المؤمنين يُكتفي بالصلاة وقراءات الفصول الإنجيلية عليه دون رفع بخور.

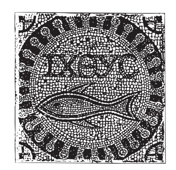
قداس اللقان

تصلى الكنيسة قداس اللقان في يوم خميس العهد تذكارًا لغسل السيد الرب أرجل تلاميذه في هذا اليوم، لذا أُخذ هذا التذكار وعاشته الكنيسة، فيتمنطق الكاهن وينحني ليغسل أرجل المؤمنين على مثال السيد والمعلم.

الجمعة العظيمة

تحتفل الكنيسة بتذكار صلب المخلص في يوم الجمعة الكبيرة (مت ٢٦ : ٢، لو ٣ : ٥٦) وتقوم بوضع أيقونات الصلبوت مرتفعة إشارة إلى ارتفاع يسوع ربنا على الصليب عن الجميع «كما رفع موسى الحية في البرية كذلك ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان» (يو ٣ : ١٤) ليجذب إليه الجميع (يو ١٢ : ٢٣). وكما كان كل من ينظر إلي الحية يُشفى (عد ٢١ : ٥) كذلك يسوع المصلوب يشفى الذين لدغتهم الحية القديمة أي إبليس (رؤ ٢٠ : ٢). وتمارس الخدمة بالملابس الكهنوتية السوداء إشارة إلى حزن الرسل الذين لما أخبرهم الرب بآلامه وموته ابتدأوا يحزنون (مر ١٤ : ١٩)، وتطفأ الأنوار والشموع من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة لأن الشمس حجبت أشعتها حزناً على مبدعها شمس البر ولأن إله الطبيعة يتألم، وتلك إشارة إلى الظلمة التي مكثت على الأرض ثلاث ساعات يوم الصلب كقول الإنجيل (مر ١٥ : ٣٣). هذا ونقول مئة مرة كيرياليصون بالميطانيات في كل جهة من جهات المسكونة الأربعة لنشهد أن المسيح إلهنا الذي تألم وصُلب ومات هو رب المجد وأنه حاضر في كل مكان ولا يخلو منه مكان وأنه مات من أجل جميع الناس في سائر أنحاء الأرض كفارة لخطايانا (أش ٤٣ : ٥، تث ٤ : ٣٢)، وبعد الميطانيات نطوف بأيقونة الصليب إشارة إلى ما فعله يوسف الرامى ونيقوديموس حيث أنزلا جسد المسيح من على الصليب بإكرام جزيل، ونحمل معنا كتب البصخة والإنجيل لكي نتذكر ما صليناه من أول الأسبوع لنعمل به ونعيش رحلة الآلام وموت الرب حتى نهايتها، ثم نأتي إلى تذكار الدفن الذي يمثل

ما فعله يوسف ونيقوديموس وقت وضع جسد المخلص في القبر، عندما نحمل أيقونة الدفن ملفوفة في ستور من الكتان النقي إشارة إلى اللفائف والأطياب ونضعها على المذبح الذي هو القبر الحقيقي ونضع عليها الورود والعطور بحسب ما صنع يوسف ونيقوديموس، وبعد ذلك نضع سترًا إشارة إلى الحجر الذي وضع على قبر المخلص يوم دفنه (مت ٢٧ : ٩). ثم نضع شمعدانين أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب إشارة إلى الملاكين اللذين كانا جالسين عند القبر بثيابٍ بيض واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع ربنا موضوعاً (يو ٢٠ : ١٢).





كنوز ألحان أسبوع الآلام الفصحية

انطبع طقس الكنيسة في أسبوع الآلام بروح كتابية وبالتسبيح والصلاة والتضرع والطلبات، وركزت على تأكيد ألوهية المسيح المصلوب والاعتراف له « بالقوة والمجد والبركة والعزة ». فلحن « أومونوجينيس » يؤكد بإلحاح متكرر أن هذا المصلوب الإلهي هو نفسه اللوغوس وحيد الآب والأزلي وغير المائت والواحد من الثالوث، وهي جميعًا ألقاب إلهية. ولا تمل قطع الساعة السادسة والتاسعة من تكرار عبارة « المسيح إلهنا » في حضرة أيقونة الصلبوت التي يُقدم لها البخور من جميع الكهنة الحاضرين، اعترافًا بألوهية المصلوب الإلهي الغالب والذي يغلب. وأخيرًا يأتي لحن « بيك إثرونوس » في آخر يوم الجمعة الكبيرة ليخاطب المسيح المائت معترفًا بلاهوته قائلاً له « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور ».

ومن أشهر طرائق ألحان الكنيسة في أسبوع البصخة:

١) اللحن الأدريبي:

قام بوضعه رهبان أديرة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين بجبل أدريبة غرب مدينة سوهاج، وهو من الألحان الحزايني الهامة التي تقال كثيرًا في أسبوع الآلام، والـمُطلع على كتب قراءات طقس البصخة يجد بصمات واضحة لهؤلاء الرهبان في وضع ترتيب تلك القراءات والصلوات، وأضافوا كثيرًا من عظات أبيهم الروحي الأنبا شنودة إلى تلك الصلوات مما يرجح أنهم أصحاب الفضل في وضعها وترتيبها. حتى أن أغلب ألحان أسبوع الآلام تميل بصفة عامة إلى اللحن الحزايني وهو الأدريبي. أما مدينة أدريبة فهي بحاجر سوهاج الغربي وتشتهر بدير الأنبا شنودة والأنبا بشاي (الدير الأبيض والدير الأحمر).

٢) اللحن الشامي:

المتتبع لنغمات هذا اللحن يستنتج أن كثيرًا منها مقتبس من ألحان أخرى: «أووه ناي نيم» وهو الترحيم الخاص بالقداس الكيرلسي، ولحن «بيك لاؤس غار»، وأخيرًا يكمل باللحن الأدريبي. ويرجح أن هذا اللحن منسوب إلى قرية مصرية تسمى «الشامية» بمركز ساحل سليم بمحافظة أسيوط.

٣) اللحن الحزايني:

المعروف باسم لحن أيوب، وهو لحن على نفس طريقة «غولغوثا» (الجلجثة بالعبرانية والأكرانيون باليونانية) والذي يقال في يوم الجمعة العظيمة وتسميته بلحن أيوب لأن المرتلين كانوا يقرأوا سفر أيوب بالكامل بهذا اللحن الحزايني.

وتأتى ألحان الآلام لتعبر بحق عن اختبار وشركة آلام الرب وموته الخلاصيين، فمتى قيلت بفهم وروح وذهن، تكون قادرة أن تؤثر في أعتى الخطاة والبعيدين، لأنها تمثل مشاعر روحانية رحلة الآلام المقدسة التي ألفها الروح القدس والتي نقدمها مع الكنيسة لنذبح لله ذبيحة التسبيح على المذبح السماوي مع الخوارس العلوية.. بل بالحري نقدم نفوسنا ذبائح لملكنا المصلوب ونتمثل بآلامه ونكرم دمه بواسطة دمائنا، ولنصعد على الصليب لأن الألم مع المسيح ومن أجله أفضل من الحياة الهنية مع الآخرين.

وسنشير هنا إلى بعض الألحان المعروفة من خضم كنوز ألحان هذا الأسبوع:

١) لحن أمونوجينيس (Ⲟⲙⲟⲛⲟⲅⲉⲛⲏⲥ):

أي الابن الوحيد وهو لحن يوناني الكلمات يُتلى قبل التقديسات الثلاثة في صلاة الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة وترجمته العربية الدقيقة «أيها الوحيد الجنس وكلمة الله غير المائت، لقد رضيت من أجل خلاصنا أن تتجسد من

والدة الإله القديسة مريم الدائمة البتولية، وتأنست بغير استحالة، وصُلبت أيها المسيح الإله، وبالموت دست الموت، أنت أحد الثالوث القدوس، الممجد مع الآب والروح القدس خلصنا».

وتعتبر كلمات هذا اللحن بمثابة تلخيص وافٍ لإيماننا في شخص المسيح كلمة الله والابن الوحيد المبذول عن حياة العالم، واعتراف دقيق التعبيرات قليل الكلمات، يشرح ويعلن كل أعمال الرب الخلاصية لأجلنا، وتأتى أهميته في روعة اللحن القبطي المصاحب له، مع كونه يُتلى وقت صلب المسيح الخلاصي، أي في وقت الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة. فهو اعتراف الكنيسة العلني وشهادتها لقبول خلاص المسيح الذي أتمه من أجلها، ووعى المؤمنين أن هذا الخلاص أثمر في النهاية القضاء على الموت بموته على الصليب «بالموت دست الموت».

وأهم ما جاء بهذا اللحن هو لقب المسيح: «أحد الثالوث القدوس» مؤكدًا على أن الابن هو أحد الثالوث الأقدس، فهو شريك تمامًا في مجد الآب والروح القدس، وهو الأقنوم الثاني في الثالوث والذي لكل أعماله، بما فيها آلامه وموته، فعاليتها الخلاصية لجنس البشر.

ويتفق هذا التعبير تمامًا مع تعليم القديس كيرلس الكبير عمود الدين والقديس ساويرس الأنطاكى (آباء الكنيسة الأرثوذكسية اللاخلقيدونية) وقد بذل الإمبراطور جوستينيان جهده لإدخال هذا اللحن في الكنيسة البيزنطية في عصره فصار يُتلى ضمن صلوات القداس الإلهي في هذه الكنيسة حتى الآن.

وهذا اللحن الرائع يحوى في داخله قوة إيمانية كرازية مسكونية غير عادية، كونه اعترافًا وَحدَويًا للإيمان الأرثوذكسي، يلتقي عنده كل المؤمنين الأرثوذكسيين في كل المسكونة بأسرها، يسبحون فيه المسيح الإله المصلوب عن جنس البشر، يسبحونه بصوت واحد وإيمان واحد وتعبيرات واحدة أيضًا.

٢) لحن آجيوس (Ⲁⲅⲓⲟⲥ):

وهو اللحن الحزايني الذي يقال في ساعة الصلب في يوم الجمعة العظيمة، ويقول القديس الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين: {عند تكفين المسيح المصلوب تعجب نيقوديموس ويوسف الرامي كيف قدر الموت عليه، فللوقت سبحاه بالتسبيح المشهور قائلين: «قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الحي الذي لا يموت» ثم سجدا وقال «الذي صلب عنا ارحمنا»} . وأول من أدخل هذه التسبحة في العبادة المسيحية هو القديس أغناطيوس الأنطاكي أحد الآباء الرسوليين.

٣) لحن مزمور أف تشي نون (Ⲁϥϭⲉⲛⲟⲛ):

ويُقال في الساعة الثالثة من ليلة الخميس وكذا في باكر بعد الإبركسيس، ويُقال هذا المزمور بلحنه الشامي المعروف، وهو عن يهوذا الخائن ونصه هكذا «كلامه ألين من الدهن وهو نصال» (مز ٥٤ : ٢١) ففي هذا اللحن نتذكر تسليم الرب وخيانة التلميذ صاحب القبلة الغاشة.

٤) لحن فاي إيتاف إنف (Ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ):

والذي فيه تنطلق أصوات المرتلين مسبحة المسيح المصلوب الذي قدم جسده محرقة ورائحة بخور ذكية من أجل خلاصنا، وفي هذا اللحن الذي يعد من أروع ألحان الكنيسة، نناجى الذي أصعد ذاته بإرادته وسلطانه ومشيئته وحده على عود الصليب ليقدم نفسه ذبيحة مقبولة من أجل خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة. ويأتي هذا اللحن مع تقديم البخور والعبادة بخشوع وفخر للمسيح المعبود، والذي صنع بذبيحة نفسه عمل الخلاص العجيب.

٥) لحن بيك إثرونوس (Πεκⲑρονος):

وهو اللحن الذي تختم به الكنيسة قراءاتها في المزامير يوم الجمعة العظيمة، وكلماته كالأتي: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك» (مز 44: 9، 11) وهو مزمور أناجيل الساعة الثانية عشرة من الجمعة العظيمة التي تسرد حادثة «دفن المسيح»، وكذلك يقال في الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء. وقد عبر هذا التعليق العميق في إيجازه عن موضوع وقيمة هذا اللحن: فبآية واحدة ترد الكنيسة على الصالبين. فهي تعلن شهاداتها في هذا الصلب الذي ظنوه موتًا. وترى أن المسيح هو الإله الجالس على عرشه يدين لا إلى «الدهر» فقط بل إلى «دهر الدهور» كما تقول الكلمة الأخيرة من اللحن «شا إينيه إن تى نى إينيه (Ϣⲁ ⲉ̀ⲛⲉϩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ ⲉ̀ⲛⲉϩ)». هذه الكلمة «شا إينيه إن تى نى إينيه إلى دهر الدهور» تستغرق وحدها نصف وقت اللحن كله، تعبيرًا عن اللانهائية والامتداد لقضاء حكم المسيح المصلوب إلى نهاية كل الدهور.

إن نغمة هذا اللحن هي من نغمات كنيسة أورشليم الأولى، وهي من الأنغام التي احتفظت بها الكنيسة القبطية كما هي مع بعض الإضافة لنغمة الليتروچيا القبطية من اللحن الشامي. وفي أغلب الظن اكتمل هذا اللحن منذ بداية القرن الأول الميلادي أيام القديس يعقوب الرسول.

والكنيسة بهذا اللحن تختم ألحانها في هذا اليوم العظيم لتعبر عن مشاعرها وأحاسيسها، بل وإيمانها الراسخ تجاه عريسها المصلوب، الذي قال داود عنه أن الابن إله وأنه دائم إلى الأبد، أنه ملك الدهور وأن ملكه لا نهاية له (مز ١١٠).





ذكرى آلامه المقدسة

فى هذه الأيام التي تتجدد فيها أمام عيوننا آلام الرب يسوع في أسبوع البصخة من كل عام، لابد أن نعيش مع الذي قدم نفسه عنّا ذبيحة عظيمة، وبها دعانا وفدانا على عود الصليب. فلا ندع أفكارنا تنشغل إلا بذكر آلامه المقدسة.

قصة الحب العجيب

ما أعجب يا رب أن تقيم لعازر من القبر من بطن الهاوية في أول أيام أسبوع آلامك وكأنك تقدم صورة للنهاية قبل البداية وكأنك تمهد بسبت لعازر للسبت الكبير، سبت النور والفرح الذي ستقيم فيه أسرى الرجاء!. ما أعجب أن تقيم الميت الذي أنتن في القبر بعد أربعة أيام بينما أنت سائر في طريق الموت. إنك لست فقط قادر أن تقيم من الأموات بل أن تقوم أنت أيضًا.



إقامة لعازر

ما أعجب أن تبكى عند قبر حبيبك لعازر وأنت الذي تمسح كل الدموع!. وما أعجب أن تقف أمام القبر وأنت سيد الحياة ورب القيامة. وما أعجب أن تصدر أمرك الإلهي إلى لعازر باسمه فيقوم ويداه ورجلاه مربوطة. ما أعجب أمرك: «حلوه ودعوه يمضى». وما أعجب الجموع التي آمنت بك عندما

رأت مجدك وأنت تعطى الحياة للميت الذي شبع من الموت. وما أعجب الذين عقدوا مجمعًا منذ ذلك اليوم ليتشاوروا على قتلك (يو ١١: ٤٧)!.

ما أعجب أنك أنت الكلمة التي سمعها لعازر الميت فقام من الأموات، إذ أنك تحيي من تشاء، وصوتك حينما يسمعه الذين عملوا الصالحات يخرجون به إلى قيامة الحياة، وكل من آمن بك ولو مات فسيحيا!. ما أعجب أن تعطى الحياة الآن للعازر لأنك القيامة بذاتها وأنت حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا.

ما أعجب أن تبدأ يا ربي أحداث أسبوع آلامك بيوم الانتصار في دخولك أورشليم كملك وأنت آتٍ لتُكمل الخلاص الذي من أجله جئت إلى الأرض!. وما أعجب دخولك أورشليم حيث المدينة المقدسة لتقدم ذبيحة عن الشعب!. وما أعجب أن يهتف لك الشعب «مبارك الآتي باسم الرب» لأنك أنت الذي سترحم كل خلقة يديك وستخلص جميع البشر الذين ضلوا وستسكب خمرًا وزيتًا على الذين وقعوا بين اللصوص. ما أعجب أن تخلصنا بنفسك فلا سفير ولا ملاك بل بنفسك.

ما أعجب أن تدخل مدينة أورشليم في يوم أحد الشعانين لتملك لا على المدينة بل على خشبة (مز ٩٦: ١٠) لأنك من فوق هذه الخشبة سوف تملك على قلوب البشر وتأسرها جميعًا!. وما أعجب عرشك المفضل الأبدي هذا الذي من أجله وُلدت ومن أجله احتملت الآلام كمذنب، فأية محبة أعظم



دخول المسيح أورشليم



من هذه، تلك التي أحدرتك من السماء وأنت خالق السموات وألبستك لباسًا أرضيًا، **وجعلتك وأنت مساوٍ للآب في أزليته وخلوده، مساويًا لنا في الموت، وبينما أنت غذاؤنا تجوع وتعطش وتصير ضعيفًا لترويّنا وتشبعنا وتشفينا وتحيينا** .

ما أعجب أن تأتى إلى أورشليم بعد أن أمضيت مساء السبت في بيت عنيا وأقمت ميتًا كان قد أنتن في القبر أربعة أيام، لذا استقبلتك الجموع كمسيًا آت ليملك على كرسي داود وكمخلص آتٍ من الأعالي! . لقد انتشر نبأ إقامتك للعازر بين الجموع كلهيب يشعل القلوب التي طال انتظارها لمخلص، وعبثًا حاول الفريسيون أن ينتهروا الجموع وباطلاً سعوا لإسكاتهم لأنه «إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق» .

ما أعجب أن تعلن مملكتك من فوق منبر غاية في العجب!! فبينما يعلن الملوك سلطانهم من فوق المركبات والفرسان، أعلنت أنت مُلكك بالحب والوداعة وتدبير الخلاص، لذا طلب منك الشعب لا خلاصًا فقط، بل خلاصًا مضاعفًا . وما أعجب الهتاف والصيغة الرجائية التي توسلوا بها إليك مترجين بلجاجة أن تخلصهم! .


لعنة شجرة التين

ما أعجب قلبك الإلهي المملوء رحمة وحلاوة، فبينما أنت في موكب مجد ملوكيتك، نظرت إلى أورشليم وبكيت عليها، لأنك جئت لتفتقد وتصنع فداء شعبك، وبأحشاء رحمتك أتيت لتفتقدنا من المشرق من العلاء (لو ١ : ٦٨)! . فما أعجب افتقادك الإلهي للإنسان إذ سمعت الأنين وتذكرت الميثاق ونظرت المذلة وجئت لتخلصنا .

ما أعجب قولك لإسرائيل أنه لم يعرف زمان افتقاده، بينما افتقدته أنت يا وحيد الجنس، فإذ بالكهنة يتآمرون على قتلك، فيالفرحة الذين يقبلون افتقادك ويأخذونك كمخلص آتٍ باسم الرب، تفتح لهم كنوز خيراتك السمائية وتفيض عليهم من بركاتك بما لا تسمعه نفوسهم، ويالشقاوة من يعبر عليه هذا الافتقاد ولا يعلم ما هو لسلامه!. إنك ملكٌ متواضعٍ وباكٍ، لكنك قوى بسوط، وارتجت لك المدينة ومن ثم ملكت على الصليب.

ما أعجب أن تجوع أمام شجرة التين (مت ٢١ : ١٨) فلولا أنك أخليت ذاتك وصرت مثلنا لما جعت!. وما أعجب تلك الشجرة التي تذكرنا بخطية آدم الذي حاول أن يغطى عريه بورقة التين. وما أعجب أن تلعن الشجرة فتيبس في الحال ليكون لعنك لها لعنًا للكتبة وللفريسيين الذين بلا ثمر، فبينما يتعين عليهم أن يقودوا الناس للخير، قادوا يهوذا للخيانة، والشهود للزورو والحراس إلى الكذب والرشوة، بل وقادوا الشعب كله للتآمر والضلال جاعلين بيت أبيك مغارة لصوص.

ما أعجب رفضك لكل شجرة مورقة بلا ثمر!. وما أعجب رفضك للمبررات وللأعذار والرياء الذي هو من ورق التين، لأنك تريد ثمرًا لا ورقًا الأمر الذي جعلك تلعن الشكليات كما لعنت التينة «هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا» فذبل الهيكل كما ذبلت التينة.

ما أعجب جوعك إلى الثمر قبل الصليب!. إنك تجوع إلى خلاص كل أحد، تجوع ليتمتع العالم كله بغفرانك، فقد أطعمتنا جسدك وسقيتنا دمك ورويتنا بعرقك وحوطت علينا بسياجك وربطتنا بمساميرك لتحمى شجرتنا فنعطيك تينًا ناضجًا.

ما أعجب قـدمـيـك التي قبل أن تُسمرا على عود الصليب تقدمت المرأة الخاطئة بقارورة الطيب الكثير الثمن وسكبتها عليهما يايسوع إلهى ومزجتها بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها، لأنها أحبت كثيرًا وغفرت أنت لها خطاياها الكثيرة!. إن هذا الطيب الذي دهنت به رجليك كان لتكفينك.



ساكبة الطيب

ما أعجب أن تقدر هذا الطيب يا ربي قدر المحبة التي وجدتها تفوق الأرض وما عليها، بينما اعتبرها يهوذا الخائن إتلاف، وكخبير في الأسعار ثمنها بثلاثمائة دينار، لكنك امتدحتها ووزنتها بميزان الحب الصادق ومنحت المكافأة والمجازاة لتلك المرأة، فقد كانت قيمة حياتك عند يهوذا تساوى ٣٠ فضة، أما عند هذه المرأة فقد كانت تساوى كل ما عندها حتى إلى ٣٠٠ دينار (مر ١٤: ٥).

ما أعجب أن يليق هذا الطيب بموتك حتى أنك قلت «اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته» (يو ١٢: ٧)!. لقد أردت يا رب أن تعلمنا أن المحبة لك لابد أن تكون نشطة وحارة وعملية لكن سرية وصامتة. ما أعجبك يا ملك البشرية وأنت تقبل هذا الطيب وتمتدحه بينما يهوذا الخائن كان يرى أن الصندوق أولى بثمنه إذ كان يلتقط كل ما يوضع فيه. وما أعجب أن تمنح المرأة ساكبة الطيب التكريم والتذكار الدائم على مدى أجيال الكنيسة حيثما يُقرأ إنجيل المرأة صاحبة الطيب. لقد جعلت

هذه المرأة أسبوع آلامك أسبوع الطيب الناردين إذ سبقت ودهنت بالطيب جسدك للتكفين (مر ١٤ : ٦).

ما أعجب أن يكون هذا الطيب نبوة عملية عن الموت والدفن الذي ستجوزه بإرادتك!. وما أعجب أن الكنيسة قد أخذت الطيب والحنوط، الذي وُجد في لفائف أكفانك بعد قيامتك المقدسة، وصُنع منها زيت الميرون، لذا صار هذا التذكار عجيبًا ليس للمرأة في حد ذاتها، وإنما لعملها الحسن الذي به اشتركت في تكفين جسدك كأول عمل مهد لصليبك ولقبرك. وياللعجب فقد تخلد اسمها وعملها في الإنجيل وفي السماء وفي الكنيسة لأنها فعلت بك فعلاً حسنًا.

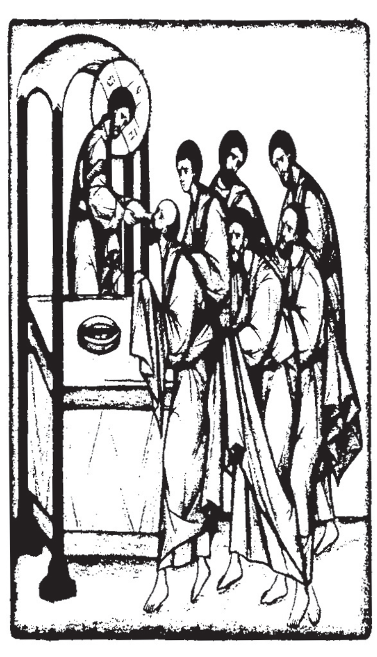
ما أعجب طيبك الذي هو خلاصة روائح وزهور كثيرة والذي انتشر كرائحة ذكية مسكوبة على قدميك مَلأَت الكنيسة كلها وارتفعت إلى السماء عينها، لأن اسمك أيها المصلوب دهن مهراق فاحت رائحة ناردينه حين أُهرق دمك وأنت مجتاز المعصرة وحدك لتقدم حياتك مبذولة كقارورة عطرت السماء والأرض!.



العشاء الأخير

ما أعجب أن تسقينا دمك وتغذينا جسدك الخاص لتجعل السماء في متناول أيدينا، عندما تثبت فينا ثبوتًا متبادلاً ونصير ليس فقط ملازمين لك بل متحدين بك، وهنا نكون مرهبين للشياطين ونخبر بأعمالك العظيمة ونسمع تسابيحك ونشبع من حبك على قدر ما نشتهي، ونبشر بموتك أنت الابن الوحيد ونعترف بقيامتك عندما نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس وننال الأولوجيات لنتقدس!. **إنها قصة الحب العجيب**.

ما أعجب تذكار فصحك الإلهي يا ربي فهو ليس مجرد أكل وشرب خمر بل تذكار ذبح حقيقي: كسر جسدك وسفك دمك!. والمأكول والمشروب هو جسدك أيها الحمل الإلهي الذي قدمته فصحًا للعالم ودمك المسفوك لخلاص الإنسان، **فالتذكار حقيقي من جسد ودم حقيقي، والوليمة هي وليمة الملكوت لا بالمثال ولكن بالحقيقة**.



تأسيس سر الإفخارستيا

ما أعجب إنكار بطرس لك بينما أنت أكدت له مسبقًا أنه سينكرك ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، وبعد أن أنكرك اقتربت إليه بمراحمك في صمت وسرية لتلمس قلبه وتذكره بالدعوة والتبعية ما أعجب أن تلتفت وتنظر إليه لتفتقده بنعمتك الداخلية، إذ أنه كان في عوز لأن تُذَكِّرَهُ، لأن نظرتك إليه كانت عوض صوتك حتى يمتلئ مخافة ثم يبكى بكاءً مرًا!. فما أحوجنا أن نرتمي في حضنك لأنك عارف بضعفنا، فلا نثق بذواتنا بل في نعمتك القادرة أن تقيمنا من الضعف، فليتنا لا نفتخر بأنفسنا بل بالحري نفتخر بعطاياك متعلمين من بطرس الذي أنكر الواحد الذي أحبه ثم أحب الواحد الذي أنكره.

ما أعجب أن تحذر بطرس من نتيجة تجربة الشيطان له، ثم بعد إنكارك أعطيته كلمات التعزية ليعود ويقوم، ليس هذا فقط بل ويسند إخوته أيضًا (لو ٢٢: ٣١)!.

ما أعجب أن تكون قد جِئت فصحًا عن العالم، بينما رؤساء الكهنة والكتبة كانوا يطلبون أن يمسكوك بمكر ويقتلونك في عيد الفصح، وهم بهذا ذبحوا الفصح الحقيقي في العيد ولم يتعرفوا عليه ولا فهموا الذبائح الرمزية التي كانت بين أيديهم بكل أسرارها!.



سر الإفخارستيا

ما أعجب حملك للصليب إذ أنه الموازى في أعمال النبوة لحمل اسحق حطب المحرقة، فأنت الخروف حمل الله الذي للمحرقة (تك ٢٢) وأنت الذي قال عنك إبراهيم: «الله يرى له الخروف للمحرقة»!. فبعد ٤٢ قرنًا من إبراهيم جاء ملء الزمان وتجسدت مولودًا من امرأة تحت الناموس لتفدينا وننال بذبيحتك الكفارية نعمة التبني، فمن الضغطة والدينونة أُخذت، وقُطعت من أرض الأحياء وضُربت من أجل ذنب شعبك وجعلوا مع الأشرار قبرك ومع غنى عند موتك.



ذبح إسحق

ما أعجب أن اسحق في استعداده للموت حمل صليب الإنجيل قبل مجيء الإنجيل!. وما أعجب أن تكون الحمل الحقيقي الذي قدمك الآب ليس فدية عن اسحق وحده بل عن العالم كله.

ما أعجب أن توثق بين الأشواك بقرون كما علقت على الخشبة!. وما أعجب أن يكون حمل اسحق لخشب المحرقة إشارةً ورمزًا لك، هذا السر الذي سبق فأعلنه الأنبياء، فكما قدم إبراهيم ابنه الوحيد، هكذا ذبيحتك هي ذبيحة الآب الذي قدمك أنت ابنه فدية عنا. إنها ذبيحتك التي اشتمها الآب رائحة سرور. فذبح اسحق كان إشارة إلى هرق دمك على الصليب عن خلاص العالم، وكما حمل اسحق حطب المحرقة كذلك حملت أنت خشبة الصليب وكما رجع اسحق حيًا من الأموات، هكذا أيضًا قمت حيًا من الأموات وظهرت لتلاميذك القديسين.



غسل الأرجل

ما أعجب أن يسكب الرب ماء في مغسل ثم يغسل أرجل تلاميذه وهو الذي سيبذل دمه ويسيل على الأرض ليغسل به أوساخ خطايانا!. وما أعجب أن يأتزر الرب بمنشفة ويغسل الأقدام ويمسحها ليس فقط لمن سيتألم من أجلهم، بل وحتى لمن هو مزمع أن يسلمه للموت. وما أشد العجب في احتمال الرب للشر الذي أتى عليه، حتى في مشهد الخيانة ذاتها!! ولم يقل له «أيها الخائن والرديء، أهذا جزاء ما صنعته من رحمة؟» بل إنه بدلاً من أن يغضب عليه قال له ببساطة «يا يهوذا..». مبارك أنت يا رب لأنك علمتنا المثل في احتمال الشر وأظهرته لنا في شخصك الكريم.

ما أعجب أن تخلع ثيابك كما يفعل الخادم والعبد ثم تصب ماء لتغسل أرجل تلاميذك وهم جلوس أمامك!. ما أعجب أن تجعل غسلك لأرجلهم شرط ليكون لهم معك نصيب. إن إخلائك يا ربي لذاتك في أن تكون عبدًا بالمشيئة لتعلمنا هذا الفكر، إذ وأنت في صورة الله لم تحسب خلسة أن تكون معادلاً لله، لكنك أخليت نفسك آخذًا صورة العبد، صائرًا في شبه الناس، ووجدت في الهيئة كإنسان ووضعت نفسك طائعًا حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٥). إنها قصة الحب العجيب.

ما أعجب كأسك المُذاب فيه خطايا العالم الذي رأت مشيئة الآب أن تشربه!. ما أعجب إنحنائك وإخلائك لذاتك لكي تتجرع الكأس فيتمجد اسمك بالصليب «مجدت وأمجد أيضًا» (يو ١٢ : ٢٨) وبالحق إن الذي سيتمجد لا يتمجد من أجل نفسه، بل يتمجد لمجد الله. وما أعجب أن تجثو على الأرض العراء في برد جثسيماني بينما عرقك يتصبب كالدم. وما أعجب أن تطلب من الآب ثلاث مرات لكي يعبر عنك هذه الكأس، فهذه الكأس لم تكن الموت فقط بل عار البشرية وخطاياها التي حملتها لتموت عنها موت الخطاة.



فى بستان جثسيمانى

ما أعجب قبولك للكأس فشربتها حسب مشيئة الآب، لذلك لم تعط إجابة للذين حاكموك، بينما لم تكن فيك خطية، ولم يوجد في فمك غش لكن في كل هذا أردت أن تتمم العمل الذي أعطاه لك أبوك!.. إنه كأس الموت وكأس نجاسات العالم، وكأس إثم جميعنا.

وما أعجب قطرات العرق التي سالت منك يا ربي كقطرات الدم، حتى تجفف ينبوع الخوف عند البشرية، وما أعجب الملاك الذي وقف إلى جانبك يقويك وأنت في بستان جثسيماني لأن هذا يتصل بخلاصنا ويعلمنا أننا في أوقات التجارب لابد أن ندخل جثسيماني ونصلى وعندئذ سيأتي الملاك ليسندنا!.

وما أعجب صلاتك في بستان جثسيماني مع أنك أنت الذي تقبل الصلاة ويأتي إليك كل بشر، وما أعجب بكائك وأنت تمسح كل الدموع، وما أعجب أن تباع بثمنٍ بخس بثلاثين من الفضة، وأنت افتديت العالم كله وبأعظم ثمن، بدم نفسك!. ما أعجب تعبك وإرهاقك بينما أنت وحدك الشافي لكل مرض وضعف. ما أعجب قولك «أنا عطشان» بينما أنت ماء الحياة، وما أعجب أن تُرفع فوق خشبة الصليب وتُسمر عليها لتبرأ البشرية كلها بشجرة الحياة. وما أعجب أن تموت وأنت المحيي والماحق الموت بموتك. وما أعجب أن تنزل إلى الجحيم، لتُقيم النفوس المقبوض عليها وترجع معك. إنها قصة الحب العجيب.

ما أعجب أن تجتاز المعصرة الحقة وحدك، وهي ليست معصرة الآلام بقدر ما هي معصرة ثقل الخطية التي لا تقبلها ولا تطيقها، لكنك من أجل هذا جئت، ونيابة عنا خضعت في طاعة للآب لتحمل موت الخطية، حملتها نيابة عنا لأنه بتعدينا رفضنا إرادة أبيك فخضعت أنت للصليب بسرور من أجل طاعة أبيك لتعلن لنا بذلك ما أعلنته بنفسك بقولك «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣ : ١٦) وكان البذل هنا هو من إرادة الآب المحب الذي لم يشفق على ابنه الوحيد!.. فما أعجب حبك الذي جعلك تسلم نفسك لأجلنا (غلا ٢ : ١٠)، باذلاً نفسك المملوءة حبًا، مقدِمًا لنا جسدك ودمك وعرقك ودموعك وصلواتك وسهرك..

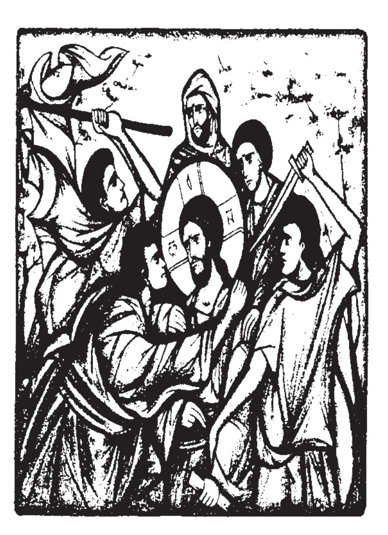
ما أعجب أن تجثو على ركبتيك بينما أنت رئيس الكهنة الأعظم، لكنك كنت تقدم ذبيحة العالم الفريدة، تقدم حياتك المبذولة طاعةً لأبيك وحبًا للبشرية!. وما أعجب أن تدخل المعصرة بإرادتك لتجتازها من أجلنا لحظات قبولك الكأس من يدي الآب، لتؤكد لنا ناسوتك الذي شاركت به ناسوتنا.

ما أعجب حملك للآلام لكي تمنحنا الفرح. إنك تألمت أيها الرب لا بآلامك وإنما بآلامي!. وما أعجب أن تفيض منك قطرات العرق بطريقة عجيبة كقطرات الدم وكأنك تستنزف دمك مفرغًا ينبوع الخوف اللائق بطبيعتنا.

ما أعجب وأنت تُقتاد للموت مُحتَقر من العصاة بينما كان تلاميذك يتشاحنون فيما بينهم من يكون الأكبر!. وما أعجب أن تكلم أبيك في البستان بينما أنت لم تنفصل عنه، حاملاً كأس الألم وحانيًا رأسك وكتفيك لترفع عنا ثقل خطايانا وتردنا لا إلى جنة عدن بل إلى الفردوس السماوي.

ما أعجب أن يسلمك يهوذا للموت بينما أنت أعظم من الموت، إذ دخله الشيطان ولأجل فضة مدنسة خسر السماء وفقد إكليل الخلود وكرامة الرسولية المحبوبة وحسبانه ضمن عداد الاثني عشر!.

ما أعجب قولك عن يهوذا «هوذا الذي يسلمني قد اقترب» (مت ٢٦: ٤٦) وما أعجب نعتك له «يا صاحب لماذا جئت»!.. وما أعجب أنك تركته ليخونك لمدة يومين بينما كنت تحاول أن تنبهه لكنه لم ينتبه، ثم أخذ اللقمة وخرج للوقت في الليل ليخونك في الظلام، وبخروجه انفصل عنك إلى الأبد وخنق نفسه. إنه مصير كل من يبيعك يا ربي بأي عرض من عروض الدنيا.



قبلة يهوذا

ما أعجب أن ثمنك، الذي صار ثمن الدم، جعل يهوذا يرده، فلم يكن ممكنًا أن يتركه معه لأنها فضة مرفوضة وزغل مغشوش، فكما أن من يترك شيئًا من أجلك أيها السيد يأخذ عنه مئة ضعف في هذا العالم مع حياة الدهر الآتي، هكذا من يبيعك أيها السيد يخسر مئة ضعف ويفقد حياته إلى الأبد، فرغم أن يهوذا ظن أنه اقتنى ربحًا بالثلاثين من الفضة إلا أنه اقتنى بؤسًا وهمًا وغمًا، لذا ذهب ليرد الفضة في ندامة بلا توبة وفي مرارة بلا رجاء، حتى أنه لم يطق حياته فمضى وشنق نفسه!.

ما أعجب أن يكون حقل الدم الذي اُشترى بالثلاثين من الفضة هو مدفن للغرباء ليصير العالم الذي افتديته يا ربي بدمك يُدفن فيه الغرباء فيتنعمون بخلاصك، ولنكون نحن المنتفعين به، فقد اشترى الحقل لأجلنا بثمن دمك، فما الحقل إلا هذا العالم الحاضر وما ثمن الدم إلا ثمن آلامك لكي تحفظ الذين دفنوا معك وماتوا معك في المعمودية لنوال البركات الأبدية!.. فعوض أن يعيشوا غرباء تحت الناموس صاروا قريبين بدمك (أف ٢: ١١).

حسبوك عبدًا يا رب فدفعوا الثمن ثلاثين من الفضة ثمن العبد (خر ٢١: ٣٢) تلك الفضة الغاشة التي دُفعت ثمنًا لموتك أيها السيد، والتي دُفعت لشراء بيت الفخاري الترابي والأرضي حيث حقل الدم استخدم لدفن الغرباء، ليكون ثمنك هو موضع دفننا إذ أننا دُفنا معك!.

ما أعجب أن تُعلن عن الخيانة لتعطى مُسلمك فرصة التوبة والرجوع إن أراد!. وما أعجب أنك لم تذكر اسم الخائن حتى لا تجرح مشاعره وأحاسيسه لعله يرجع عن رأيه وحتى لا تجعله في عار أشد. وما أعجب أنك لم تصمت تمامًا عن الخيانة لئلا يظن اليهود أن أمره غير مكشوف فيسرع بالأكثر لعمل الخيانة بجسارة. وما أعجب أنك يا ربي تركته لينضم إلى المائدة حاسبًا وكأنه مستحق للطف الإلهي حتى النهاية وبهذا صارت دينونته أعظم.

وما أعجب يهوذا الإسخريوطي الذي سلمك أنت الأسد الخارج من سبط يهوذا!. وما أعجبه وهو يتقدم بقبلة غاشة كعلامة غش مميت من شفتيه التي هي أكثر مرارة من الأسلحة والعصي. وما أعجب هذا التلميذ الخائن، فبينما كنت تحذره بكل وسيلة، لم يكف عن خيانته لهذا صارت داره خراب وأسقفيته أخذها آخر، فأي شيء يمكن يا رب أن تقدمه للعالم أكثر من بركات آلامك المخلصة المحيية، بينما هذا الخائن سلمك للآلام ولم ينتفع شيئًا من خيانته، لذلك ويل له لأن به سُلم ابن الإنسان وكان خيرًا له لو لم يولد. وهو جنى حسب ما أراد واعتقد.

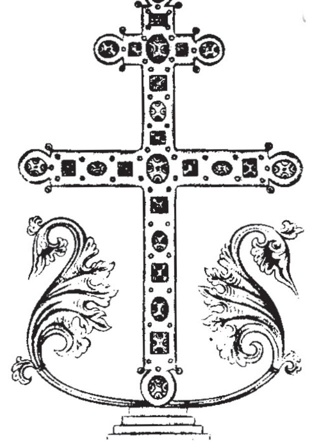
وما أعجب أن يغمس يده معك في الصحفة بينما قد تسلم فعلًا أجرة تآمره بذات اليد التي تآمرت عليك أيها السيد!. وما أعجب طول أناتك على الخائن وضمك له إلى مائدة محبتك المترفقة اللانهائية مع أنه خانك بعد أن وجد فيه الشيطان موضعًا له، وصار هو وسيلة لتسليمك إلى الصليب.

وما أعجب أن تتحدث عن خائنك وسط الجماعة دون أن تُشير إليه لأنك مهتم بخلاص نفسه دون أن تجرح أحاسيسه لأنه ماض كما هو مكتوب عنه بحسب التدبير الإلهي!.

ما أعجب أن يسلمك أحد الاثني عشر بقبلة، فجعل علامة المحبة والشركة علامة للخيانة والقتل، بينما مسلمك هذا لقبته بالصاحب « يا صاحب لماذا جئت؟ » (مت

٢٦ : ٤٩) فصدق فيه المزمور «ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز ٥٥ : ٢١)!. وما أعجب أن يلقوا عليك الأيادي ليمسكوك ومعهم السيوف والعصي بينما أنت كنت معهم كل يوم في الهيكل **تعلم وتشبع وتبرأ وتقيم وتشفى** المحتاجين إلى الشفاء.

ما أعجب أن الذي يأكل خبزك يرفع عليك عقبه (مز ٤١ : ٩) بعد أن دخله الشيطان وزرع في قلبه فكر الخيانة ليبيعك بالفضة الغاشة، بينما أنت الفضة الحقة كلمة الله المتجسد وكلمتك هى الأصلية المصفاة سبع مرات، إلا أن يهوذا تعاهد وفرح طامعًا في فضة العالم مخالفًا للناموس، وبشَرَه الشخصي وطمعه صار ما هو عليه!.



ما أعجب إشارتك عن يهوذا بقولك «أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم» مشيرًا إلى فعلته الغاشة لئلا يعتقد التلاميذ أنك لم تكن على دراية بأعمال خيانته!. وما أعجب أن تغمس له اللقمة وتعطيها له، بل وتقول له «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣ : ٢٧). فذهب الخائن سائرًا في غيه وأكمل خيانته.

ما أعجب احتمالك ليهوذا ثلاث سنوات ونصف، فهذا إعلان لوداعتك وحلمك ونسيانك للخطايا وصفحك للإساءة!. والذي قدمته لنا مثالاً، كقياس السماء في صفائها وكطبيعة النور في وضوحه وكطبيعة البهاء في إشراقه وكطبيعة المحبة في فيضها.

 أن تُحسب كلص «كأنه على لص خرجتم» (مر ١٤ : ٤٨) بينما أنت الذي ناديت للمأسورين بالإطلاق (لو ٤ : ١٨) وأخيرًا لم تتساو باللص بل حُسب باراباس اللص أفضل منك، فأطلقوا مثير الفتنة وصُلب البار!. وفي محاكمتك أنقذت بموتك باراباس المجرم الشهير، وما أعجب عُريك وجلدك على ظهرك بالسياط موافقًا أن تكون لكل إنسان ظهرًا مضروبًا لينال بواسطتك البراءة، ولكي نقول جميعًا «وبجلدته شُفينا» (أش ٥٣ : ٣، ١ بط ٢ : ٢٤).

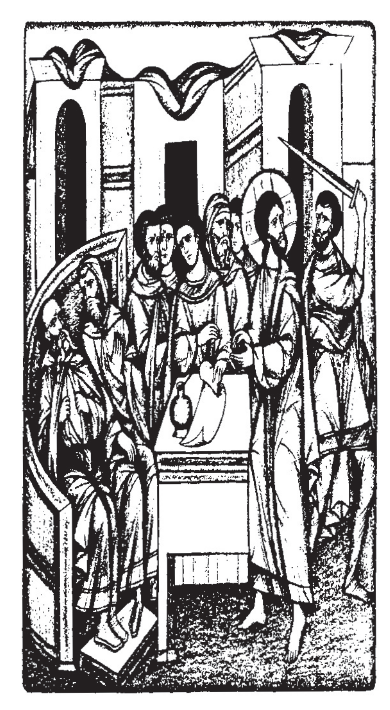
ما أعجب أن تُظلم فتُذل ولا تفتح فمك (أش ٥٣ : ٧)!. وما أعجب أن تُساق كشاه إلى الذبح وكخروف داجن صامت أمام الذي يجزه (أر ١١ : ١٩) بينما أنت حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله، حمل بلا عيب قائم وكأنه مذبوح، وبسفك دمك الكريم حصلت المغفرة.

ما أعجب أنك وأنت بهاء مجد الله ورسم جوهره تتشبه بنا وتأخذ صورة العبد!. ما أعجب أن تُباع بثلاثين من الفضة بينما أنت لا تثمنك تلال الذهب وجبال الماس. وما أعجب أن ترتضى بظلم هيرودس وبحكم بيلاطس بينما أنت ديان الأرض كلها وقاضى المسكونة طُراً. ما أعجب أنك لم تنزل من على الصليب حين تحداك الكهنة والفريسيون بينما أنت قادر على أن تزلزل أساسات الأرض كلها. ما أعجب أن تُصلب بيد الأثمة الظالمين الأشرار بينما أنت إله المحبة والبر، ومما يزيد العجب عجبًا أنك جعلت كل من يؤمن أنك قادر أن تغفر للفاجر يحسب له إيمانه برًا.

لقد باعوك أيها الرب وأسلموك للخطاة، حتى تمنحنا نحن العبيد الحرية. لقد خضعت لمحاكمة جائرة، أنت يا من تحكم كل الأرض، حتى نخلص نحن من الحكم الأبدي. تعريت حتى تكسونا برداء الخلاص. وضعوا على رأسك إكليل شوك حتى ننال إكليل الحياة. وُضعت في القبر حتى تقيمنا من موت القبر. هذا فعلته من أجلنا نحن عبيدك غير المستحقين.. أيها الرب ما أعجب اسمك..

ما أعجب أنك لما كنت تُشتم لم تَشتم عوضًا، وأنك عندما تألمت لم تكن تهدد بل سلمت لمن يقضى بعدل (١ بط ٢ : ٢٣) لذا في تواضعك انتزعت قضائك وبسبب صمتك وعدم دفاعك بذلت نفسك فدية عن كثيرين وشفعت في المذنبين لأنك عجيب ومُتعجب منك بالمجد!.

ما أعجب يا رب قول النبي الذي رآك مجروحًا فسألك «ما هذه الجروح في يدك» (زك ١٣ : ٦) فأجبت بمرارة «هي التي جرحت بها في بيت أحبائي» (زك ١٣ : ٦)!. وما أعجب أن يسلمك الخائن أحد الاثني عشر، فتزداد جروحك مرارة من أجل الذين خانوك وشهروا بك إلا أنك أشهرت السلاطين جهارًا ظافرًا بهم على الصليب، ونَصّبت نفسك على الصليب ملكًا إلى الأبد، لأنه قد دُفع إليك كل سلطان في السماء وعلى الأرض (مت ٢٨ : ٨).


المسيح أمام رئيس الكهنة

ما أعجب رفضك للعنف لكي تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون، ولأنك لا تريد أن يدافع عنك أحد ضد مَنْ جرحوك بل تريد أن تشفى الكل بهذه الجراحات عينها، فبجراحاتك شُفيَت كل الجروح (أش ٥٣ : ٥)!. ما أعجب أنك تموت في الوقت المعين عن الفجار، ما أعجب أن تصالح العالم لنفسك غير حاسب لهم خطاياهم، وبذبيحتك المقبولة، صارت لله أبيك رائحة طيب وسرور ورضى اشتمها عن جميعنا.

ما أعجب القبض على ذاك الذي به يتحرر الكل من رباطاتهم، وكما كان هناك من استهزأ بك يا رب، كان هناك أيضًا من

خلص بواسطتك في تلك الساعة ويردد «قد حللت ربطي» (مز ٦٦ : ١٦)!.

ما أعجب العار الذي حملته وقد كسر قلبك (مز ٦٩ : ٢٠) بينما أنت تحمل كرامة أبيك وتعمل مشيئته!. وما أعجب أن تتعرى لتُصلب على خشبة كمجرم ويُشهر بك بينما أنت حامل المجد كله، وأنت الذي تعينت بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات (رو ١ : ٤).

وما أعجب قول بيلاطس ثلاثة مرات أنه لا يجد فيك علة ويراك مبررًا من كل عيب!. فعظيم هو سلطانك أيها المسيح إلهي المصلوب، فبعد كل السخريات والاتهامات والتعيير، حركت هذه القلوب نحو الندامة.

ما أعجب سكوتك وقت المحاكمة إذ أنك لم تفتح فاك، لأنك شبه الحمل محسوبًا في صمتك بارًا غير مذنب!. وما أعجب أن تُحتقر كواحد منا بينما أنت نسمة كل الأرواح المقدسة في السموات. ما أعجب أن يسخروا منك كجاهل بينما أنت المذخر فيك كل كنوز النعمة والمعرفة وأنت الناظر للخفيات التي فينا.

وما أعجب موقف بيلاطس الوالي عندما علم أنهم سلموك حسدًا!. وما أعجب قول زوجة بيلاطس «إياك وذلك البار، لأني تألمت اليوم كثيرًا من أجله» (مت ٢٧ : ٩) فكان ذلك القول ليس لبيلاطس وحده وإنما للمتآمرين لكي يروا ويسمعوا بيلاطس غريب الجنس وهو يُعلن أنك بريء بغسل يديه قدام الجميع وأنه بريء من دمك أيها البار.

ما أعجب أن الذي دِين يجلس ديانًا، وأن الذي وقف أمام كرسي الوالي يُدان عن جرائم زور، وهو الذي سيدين الجرائم الحقيقية!. وما أعجب نوح الأشرار في يوم مجيئك عندما يروك وقد حملت الجراحات بسببهم. وما أعجب رؤية الذين طعنوك لجنبك المطعون، إذ أنهم سيقرعون صدورهم، لأنهم لم يكونوا يعرفونك قبلاً بسبب اتضاع جسدك، بينما ستكون رؤيتك مكافأة للأبرار ليدخلوا أفراحك وأمجادك فيتنعموا بما لا يستطيع الأشرار معاينته.

وما أعجب أن يقوم عليك شهود زور بينما أنت الشاهد الصادق والأمين! . وما أعجب أن تُحاكم بينما لم تدافع عن نفسك مع أنك بار وتبرر، لأنك جئت خصيصًا لا لتتبرأ بل لتحمل الخطية، حتى أن كل الاتهامات التي قُدمت ضدك لم تنفها، بل رضيت بها، ومن ثم تموت بناء على ذلك، فهذا صميم رسالة فدائك أن يموت البار لأجل الأثمة.

ما أعجب ما أعجب سكوتك الذي اُعتبر قبولاً لحكم الصلب، إذ هكذا تكون قد صُلبت بإراداتك وحدك وحملت في نفسك الأحكام الواقعة بعدل على الخطاة وصرت لعنة لأجلنا بينما اللعنة هي لنا، وأنت لُعنت من أجلنا بينما لم تعرف خطية، لكي تعتقنا نحن من اللعنة القديمة، وأنت قادر أن تحقق ذلك لأنك الإله الذي فوق الكل وتألمت من أجل الكل ليقتنى الكل الفداء **بموت جسدك الخاص**! .

ما أعجب أن يشتكوا عليك ويعتبرونك فاعل شر فيسلمونك، لأنه وُضع عليك إثم جميعنا (أش ٥٣ : ٦) ولهذا حملت في نفسك خطايانا في جسدك على الخشبة (١ بط ٢ : ٢٤)، وما أعجب وجهك البريء الذي ينطق لا بالبراءة فقط بل بالبرارة حتى أن بيلاطس بدأ يخاف منك (يو ١٩ : ٨) بينما كان الطبيعي أن يخاف المقبوض عليه والذي يُحاكم وليس الوالي القاضي! . ما أعجب أن يقول «أنا لست أجد فيه علة واحدة» (يو ١٩ : ٤).

ما أعجب أن تكون محاكمتك أمام شهود زور، وأن تتم ليلاً مخالفة بذلك التقليد اليهودي في المحاكمات، وفي غياب شهود الدفاع عن المتهم! . وما أعجب اتهامك بالتجديف. وما أعجب تلفيق التهم لك، وأسلوب الهزء والإهانات التي استعملت في محاكمتك، مما يثبت أن السنهدريم كان قد بَيَّت النية للقضاء عليك، بينما أنت قاضى المسكونة كلها.


المسيح أمام رئيس الكهنة

ما أعجب قولك أنك ابن الله أمام المحاكمة، وما أعجب قولك عن اليهود: «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لا يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي» (يو ١٥: ٢٤)، إذ أنهم رأوك فعلاً تعمل أعمالاً لم يعملها أحد غيرك وقالوا فيك: «ماذا نصنع فإنه يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به» (يو ١١: ٤٧)، حتى أن بيلاطس اكتشف أنهم أسلموك حسدًا (مت ٢٧: ١٨، مر ١٥: ١٠)، وأنت قد أُعطيت سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد لك كل الشعوب والأمم والألسنة، وسلطانك أبدى لن يزول وملكوتك لن ينقرض (دا ٧: ١٣، ١٤)!.

ما أعجب أن الذين حاكموك يعتبرونك مجدفًا!. وأن كلماتهم مبرر لجريمتهم، بينما هي في نظر المؤمنين باسمك بمثابة استعلان للحق، أما بالنسبة لك فقد قادتك شهادتك عن نفسك إلى الصليب الذي سبقت وأنبأت تلاميذك عنه.

ما أعجب ذبيحتك التي أبطلت كل الذبائح الأخرى والتي كانت سابقة لك كرمز وظل!. ما أعجب أنك وقفت أمام هيرودس ولم تجبه بشيء بينما الكل يشتكون عليك باشتداد. وما أعجب وقوفك أمام بيلاطس ساكتًا لا تجب بشيء مما جعله يتعجب من صمتك، إذ أن صمت المتهم في الدفاع عن نفسه معناه ثبوت الاتهام، لتحمل أنت يا ربي كل خطايا الإنسان ولتصير لعنة لأجله وتحمل في نفسك خطاياه.

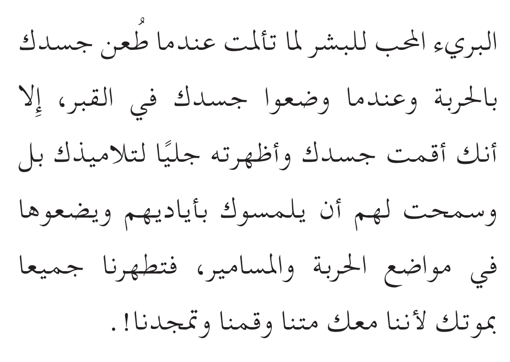
ما أعجب هياج اليهود ومؤامرتهم ضدك ودينونتهم عليك، إلا أن بهذه الدينونة انكشف كذب رئيس هذا العالم، وهكذا بدينونتك أدان العالم نفسه « الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا» (يو ١٢: ٣١)!. ما أعجب شخصك القدوس ووجهك الهادئ العذب ووثوقك في أنك الحق، وبسببك صار بيلاطس وهيرودس صديقين لأنهما كانا من قبل في عداوة (لو ٢٣: ٨- ١٢).

ما أعجب أن يُقبض عليك مع أن يمينك مقتدرة وقوتك لا تُهزم!. وما أعجب أن توثق بالحبال وأنت الذي جئت لتخلص الذين كانوا في قبضة العدو من طغيانه غير المحتمل.

ما أعجب أن تعطينا بنفسك مثالاً للاحتمال، وأنك لما ضُربت احتملت، ولما شُتمت لم تشتم مقابل الشتيمة، وعندما تألمت لم تهدد بل أعطيت ظهرك للضاربين وخديك للاطمين ووجهك لم تُدره عن البصق، وعندما اقتادوك إلى الموت ذهبت طواعية وعندما عانيت الآلام كنت تصوغ لنا الحرية!. لقد قبلت أن تنزل إلى عالم الفناء حتى يلتحف الفناء بالخلود، وصرت ضعيفًا من أجلنا لكي نقوم نحن في قوة، وقبلت الموت لتمنحنا الديمومة وتهب الذين ماتوا نعمة الحياة، ودست الموت حتى إذا متنا نحن كبشر نحيا ثانية ولا يسود علينا الموت.

ما أعجب أن يستهزأ بك العسكر ويحتقرونك!. وما أعجب أن يبصقوا عليك. وما أعجب أن يجلس العسكر ليحرسوك بينما أنت لست محتاجًا إلى حراسة بل سمحت أن يخضع جسدك للحراسة لتكون حياتنا محفوظة بعنايتك ومحروسة بقوتك.

ما أعجب مُضِيَّك مع العسكر إلى داخل دار الولاية وأنت وسط الذئاب الضارية، بينما هم يجازوك عن الخير شرًا وقد صروا عليك بأسنانهم، وأنت بقلبك الوديع



البريء المحب للبشر لما تألمت عندما طُعن جسدك بالحربة وعندما وضعوا جسدك في القبر، إلا أنك أقمت جسدك وأظهرته جليًا لتلاميذك بل وسمحت لهم أن يلمسوك بأياديهم ويضعوها في مواضع الحربة والمسامير، فتطهرنا جميعا بموتك لأننا معك متنا وقمنا وتمجدنا!.



الجلد بالسياط

ما أعجب جروحك التي صارت ثمن معاصينا وما أعجب سحق عظامك لأنه ثمن آثامنا!. وما أعجب استهزاء العسكر لأنه ثمن سلامنا. وما أعجب الشوك وضرب رأسك لأنه ثمن خزينا. لقد ضربوا رأسك التي لم يكن لك أين تسندها وكللوها بالشوك لأنها ستحمل خطية الإنسان وكل فجوره. وما أعجب أن تُحصى مع الأثمة وأن يحسبوك مرفوضًا، لكنها الكأس التي أعطاها لك الآب لتشربها (يو ١٨ : ١٢).

ما أعجب عُريك الذي به سترت عُرينا وألبستنا ثياب برك!. وما أعجب ضربك على رأسك وأنت الذي تنحني وتجثو له كل الرؤوس. ما أعجب مساميرك التي بها مزقت صك خطايانا. ما أعجب قول بيلاطس للشعب «أؤدبه وأطلقه» (لو ٢٣ : ١٦)، وما أطلقك بل أطلق باراباس بينما أنت مؤدبنا جميعًا، وأنت الذي أعطيت إطلاقًا للذين قُبض عليهم في الجحيم.

ما أعجب احتمالك للطمة عبد رئيس الكهنة على خدك!. وما أعجب صبرك على الامتهان والتلفيق، وأنت ساكت وهم مسرورون بسكوتك بينما هم أسلموك حسدًا وأنت راضٍ بكل ما عملوه. ما أعجب هدوئك أمام المحكمة واحتفاظك بالغفران والصفح وأنت صامت كملك، بينما لابد أننا جميعًا سنظهر أمام كرسيك في اليوم الذي فيه ستدين سرائر الناس.

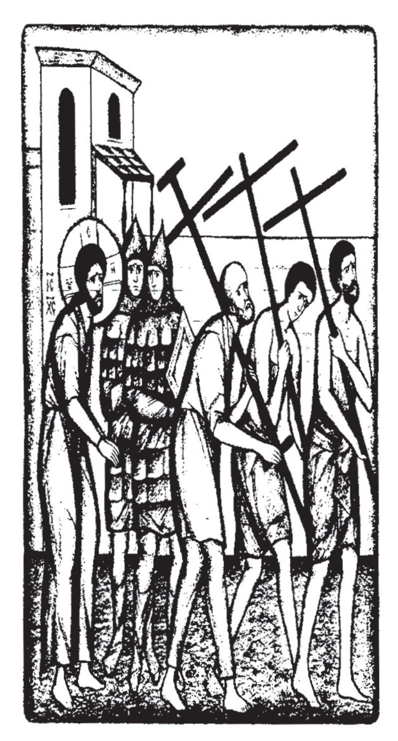


وجه المسيح

ما أعجب أن يلبسوك الرداء معتبرين أنه لباس الملوك، وما أعجب أن يضفروا لك الشوك الذي كان تكميلاً لقول الله لآدم «شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض» (تك ٣: ١٨)!. وما أعجب القصبة التي في يمينك كصولجان الملك. وما أعجب لقاءك مع النسوة في طريق الآلام، حيث قابلتك النسوة بالنواح والبكاء بينما رددت عليهن «يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن» (لو ٢٣: ٢٨)، إذ أنك لست أنت الذي يُبكى عليه. وما أعجب صورتك التي انطبعت بالدم على منديل القديسة ڤيرونيكا.

وما أعجب أن تعطش من أجلنا مع أنك أنت الذي تمنحنا الشراب بهباتك الخلاصية، لأن هذا هو مجدك وهذه هي عجيبة لاهوتك، أن يعطش ينبوع الحياة عطشنا لكي بهذا ينبهنا قائلاً «إن عطش أحد فيقبل إلىّ» (يو ٧: ٣٧)!. وما أعجب أن يصير حملك لآلامنا هو مسرتك في أن تسحق بالحزن.. وما أعجب أن تقبل الموت عنا، فلكونك أنت الحياة مُتَّ لكي لا نموت نحن، بل نصير دائمي الحياة.. ما أعجب أن تصير جسدًا لكيما تقيم الجسد بالكلمة. **إنها قصة الحب العجيب التي تجلت على الصليب..**

ما أعجب سقوطك تحت الصليب



سمعان القيروانى يحمل الصليب

يا رب وما أعجب أن يحمل سمعان القيرواني الصليب بدلاً منك ويكون هذا القيرواني مصدرًا لنا لنعرف القصة بدقائقها (مر ١٥ : ٢١)!. وما أعجب أن تسقط بالصليب ثلاثة مرات على طريق الآلام الضيق. لقد ذهبت يا ربي إلى الجلجثة ورافقك في المسيرة اثنان من اللصوص وهناك في الجلجثة حيث دفن آدم، امتلكت الحياة وملكت عوض الموت.

ما أعجب ما أصابك من إنهاك تحت ثقل الصليب حتى أنهم سخّروا سمعان القيرواني ليحمله بينما أنت الحامل كل شيء بكلمة قدرتك!. ما أعجب أن تحمل الصليب على منكبيك وليس فيك صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت (أش ١ : ٦) بينما أنت مصدر كل قوة والذي يرطب الجميع بزيت النعمة، إلا أنك وُجدت في الهيئة كإنسان وفي الحقيقة أنت ابن الإنسان ولاهوتك لم يفارق ناسوتك.

ما أعجب أنك لم تترك وسيلة لتُخلص بها على كل حال قومًا حتى في وقت صلبك: أنقذت باراباس وخلصت اللص اليمين وحولت قائد المئة وسخرت سمعان القيرواني وتلامست مع من طعنك وجعلتنا جميعًا نتقدم في ثقة إلى عرش نعمتك لكي ننال رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه (عب ٤ : ١٦)!.

ما أعجب القصبة لأنها صارت صولجانًا. وما أعجب جلدات جسدك لأنها شفت البشرية!. وما أعجب إكليل الشوك المظفر الذي يدمى جبهتك لأنه صورة لإكليل مجدك الأبدي. وما أعجب رأسك التي ضربوك عليها بالقصبة، فبجميعها تقودنا ياربي إلى أبيك.

ما أعجب أن تصير وكأنك لص مُحتقر ومخذول بينما أنت أبرع جمالاً من بنى البشر!. وما أعجب أن تتجرع الأوجاع وتختبر الحزن ولم يُعتد بك بينما أنت الذي تحمل أثقال وهموم العالم. وما أعجب قطرات عرقك التي كانت كقطرات الدم لأنها آلام الفداء.



القرعة على ثياب الرب

ما أعجب قولك «نفسي حزينة جدًا حتى الموت» (مت ٢٦ : ٣٨) فهل كنت تحزن من هروب التلاميذ وإنكار بطرس؟ أم من خيانة يهوذا؟ أم من أن الجميع قد تركوك؟ بينما أنت قد قست طريق الآلام بشبرك ودست معالم الموت والهاوية قبل أن تجتازها!.

ما أعجب أن يربطوك– «فأوثقوا يسوع» (مر ١٥ : ١) – فكيف تقيد يدي رب الحرية؟ لقد قبلت القيود في يديك لتستطيع أن تفك قيودنا الأبدية من الخطية والشيطان، إذ أنك لم تستعف من تقديم ذبيحة الآلام حتى تصل نعمة الخلاص للجنس البشرى كله!.

ما أعجب ثوبك الثمين المنسوج قطعة واحدة، هذا الثوب الإلهي الذي ألقوا عليه القرعة فيما بينهم!. وما أعجب أن تؤخذ

ملابسك قبل الصليب بيد العساكر الصالبين الرومان، ويا لعظم ثوبك الذي نسجته لك مريم العذراء أمك بيديها.

ما أعجب قميصك الذي ألقوا عليه قرعة إلا أنهم لم يمزقوه، لتجعل كنيستك منسوجة بيدك غير منقسمة ولا منشقة ووحدتها مقررة ومعانة من عندك، ولتصير كنيستك كقميصك بغير خياطة فلا تنحل أبدا، منسوجة كلها من فوق من السموات، إذ أنها فائقة المعرفة، مرتبطة برباط الكمال، فلا يُستثنى أحد من وحدتها، إنه قميص المحبة الأبدية وقميص صورة الإيمان الذي بُشِّرنا به بدون تقسيم!.

ما أعجب الثوب القرمزي الذي تلطخ بدمك الكريم لأن به ألبستنا ثوب المجد والطهارة الأبدية، إذ أنه ليس دم إنسان يفسد بل دم المسيح الحي، دم ابن الله!. وما أعجب ظهرك المجلود بالسياط لأن به دفعت عقوبتنا وجددت لحمنا وعظامنا، وما أعجب قبولك للإهانات والبصق واللطم لأن بها قبلت ورضيت أن تكون حاملاً لآثامنا ومعاصينا فتأديب سلامنا عليك لأن بجراحاتك شفينا.

ما أعجب أن تكون أنت يا ربي فصحنا الذي ذُبح لأجلنا بينما أنت الراعي والكاهن الأعظم والطريق والباب وكل شيء معًا لنا!. وما أعجب أن تُدان وتُحاكم بينما أنت الديان. وما أعجب ما وقع عليك من تعييرات المعيريين بينما أنت الذي ترد إلينا بهجة خلاصنا. وما أعجب أن تحمل اللعنة والعار لأجلنا بينما أنت القدوس الذي بلا عيب. وما أعجب موتك بينما أنت الذي لم يكن ممكنًا أن يمسكك الموت، لذا أبدت الموت وزعزعت سلطانه.

ما أعجب دمك الزكي الذي به صار تطهير نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا، بينما قديمًا كان دم التيوس يُرَش على المنجسين لتطهير الجسد، بينما بدمك المرشوش الآن ليس فقط سيعبر المهلك بل سيكون على عتبة أورشليم السمائية ليدعونا لحضور الوليمة الدائمة!.

ما أعجب إن تشاركنا بشريتنا وتتبنى قضيتنا وتضع نفسك متهمًا بدلاً عنا لكي تكتسب لنا النصرة!. وما أعجب أن تتخذ شكل العبد ليظفر العبيد بنعمة الحرية والبنوية. وما أعجب إخلائك لنفسك يا ربى لتُكمل سر تدبير تعطفك الجزيل. وما أعجب أن ترتضى الذل والهوان لتحقق لنا الرفعة من بعد سقوطنا، فجراحاتك صارت لنا كنزًا وأوجاعك صارت لنا تنعمًا ومرارتك صارت لنا حلاوة، وخزيك صار كرامة لنا، إذ قبلت أن تُجَرّب لتهبنا النصرة، وأُهنت لكي تمجدنا، فقدوس أنت لأنك أظهرت بالضعف ما هو أعظم من القوة.

ما أعجب أن تُرفع على الصليب لتصالح العالم لنفسك غير حاسب لنا خطايانا وواضعًا فينا كلمة المصالحة (٢كو ٥ : ١٩)، بينما بارتفاعك عن الأرض جذبت إليك الجميع (يو ١٢ : ٣٢)!. وما أعجب أن تجعل نفسك خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيك (٢كو ٥ : ٢١)، ولنصير من أجلك كل ما صرته من أجلنا.

ما أعجب أن تُثَمّن يا ربي بثمن العبيد آنذاك، وبأن تُجرح في بيت أحبائك (زك ١٣ : ٦)!. لقد أخذت على نفسك ما كان أقل حسنًا لتعطينا ما هو أفضل. وما أعجب أن تجعل نفسك فقير البشرية لكي نصير نحن أغنياء بفقرك. وما أعجب أن تأخذ صورة عبد لتعتقنا من العبودية، وأنت تنزل لتصعدنا. وما أعجب أن تموت لتحيينا وتصعد إلى السماء لتجذب إليك المطروحين في الخطية. وما أعجب نزولك لأن به جعلتنا قادرين على الصعود، فنزولك إلى الجحيم عالم الموتى كان أعظم إظهار وإعلان للحياة، **إذ أن نزولك إلى الجحيم حول الموت نفسه إلى حياة**!!

ما أعجب أن تصير آلامك وصلبك وموتك ودفنك وقيامتك هي فصح الكنيسة الدائم والمستمر!. وما أعجب أن يكون عملك الفصحى الإلهي موضوع لهج كل مؤمن حقيقي، خلاله يعبر من مجد إلى مجد، لأن صليبك وقيامتك هما مركز الإنجيل. ما أعجب أن يتحقق سر الفصح في جسدك وأنت تُقاد كحمل وكشاه تذبح لتخلصنا ولتحررنا من عبودية الشيطان خاتمًا نفوسنا بروحك ومقدسًا أجسادنا بدمك.

ما أعجب الحمل الصامت الذي أُخذ من القطيع واُقتيد للذبح في المساء ودُفن لينقلنا من العبودية إلى الحرية، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الملكوت الأبدي! . وما أعجب أن تكون المسامير المسمرة والألسنة المجدفة والشهادات الزور قصة حبك العجيب التي ذبحت الشيطان وجردت الرياسات والسلاطين لتمسح العالم كله بدم العهد .

ما أعجب ذبيحة فصحك الحقيقي لأنها بالنسبة لنا بدء الحياة الأبدية التي صارت في آخر الأزمنة (عب ٩ : ٢٦) والتي بها أعلنت نهاية الناموس وغايته (رو ١٠ : ٤)! . وما أعجب قلبك الحنون الذي ذاب في وسط أحشائك، وقوتك التي نشفت كزق، ولسانك الذي لصق بحنكك .



الصليب

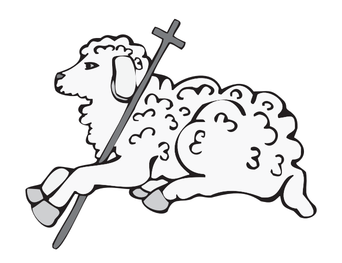
ما أعجب أنك جئت لتخلصنا، فأخذت شكل العبد (فى ٢ : ٧) بينما أنت الإله ابن الله والملك ابن الملك، لكنك من أجلنا صرت هكذا في شبه الناس وأطعت حتى الموت موت الصليب، لكي تشفق على شعبك ولا تُسلم ميراثك للعار (يوئيل ٢ : ١٧)! .

ما أعجب طاعتك واحتمالك للصليب مستهينًا بالخزي، لكي بدمك الخاص تشترى كل ما تحت السماء وتحرر الناس من دين العصيان، وكأنك تقول لنا: «إني أموت من أجل الجميع بنفسي لأنى جعلت نفسي فدية عن أجساد الجميع، فإن الموت سيموت بموتى»! . ولم تكن هناك وسيلة أخرى لإبادة ذاك الذي له سلطان الموت ولإبادة الموت نفسه أيضًا إلا بأن تبذل نفسك فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع لأنه فائق للجميع .

ما أعجب أن يموت الحمل الواحد من أجل الجميع لكي يخلص كل القطيع الأرضي لله الآب، لكي يخضع الجميع لله، ويربح الجميع، حتى فيما بعد لا يعيش الجميع من أجل أنفسهم بل من أجل الذي مات من أجلهم وقام!. فإذ كنا بعد خطاة مباعين للفساد والموت بذل الآب ابنه فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع فيك، الواحد مات من أجل الجميع ليعيش الجميع فيك (٢كو ٥ : ١٥).

ما أعجب أن تأخذ على عاتقك جميع ضعفات البشرية!. وما أعجب حب أبيك الذي من أجل حياة العالم قدم ابنه وحيد الجنس، فأي عقل وأي سمع يقدر أن يحد لجة محبتك للبشر التي لا توصف يا الله، فمن أجل تحننك ومحبتك للبشر أخضعت نفسك للآلام والإهانات لكي تبطل الألم، وغلبك تحننك لكي بموتك المحيي تبطل الموت وتتدفق نحونا جميع الخيرات. وما أعجب أنك تألمت خارج المحلة وتأخذ وضعنا لكي تعطينا وضعك، فبخروجك خارج المحلة دفعت الثمن الذي ندخل به نحن «دُعى اسمه عجيبًا» (أش ٩ : ٦).

ما أعجب أن تُحسب مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً (أش ٥٣ : ٤)، بينما أنت الذي ناديت بالخلاص للناس، فكيف لا تُخلص نفسك وأنت منقذ حياتنا من الفساد ومُكَلِّلنا بالمراحم والرأفات!! وما أعجب أن ينقض هيكل جسدك بينما لا تزول كلمة واحدة من كلامك ولن تزول ولو زالت الأرض والسماء، فلقد كان موتك مرة واحدة بلا تكرار، لأنك لم تمت عن ضعف بل عن قوة الحب الخلاصي الباذل، ونحن نشترك معك في موتك، ونشاركك قيامتك التي لا يغلبها الموت!.



وما أعجب دمك الزكي الذي يحفظ من الموت الذين يؤمنون بك، فإذا كان دم الخروف الأعجم في القديم قد أعطى خلاصًا، فكم بالحري دمك الزكي، وأنت الذي لم تعرف لعنة قد صرت لعنة، وأنت الذي لم تعرف خطية قد صرت خطية لأجلنا لتقدم دمك مهراقًا ومعتصرًا في كأس خلاصنا!. ما أعجب دمك الذي دخلت به مرة واحدة إلى الأقداس فوجدت لنا فداءً أبديًا (عب ٩ : ١٢). وما أعجب دمك الذي بروح أزلي يطهرنا من الأعمال الميتة. وما أعجب دم نفسك الذي قدست به الشعب لما تألمت خارج المحلة، وبقربانك قربتنا لأبيك وأكملت إلى الأبد المقدسين في دمك المعروف سابقًا قبل تأسيس العالم.

ما أعجب الربوبية التي كانت في شكل العبد!. وما أعجب المجد الإلهي في الهوان البشرى. وما أعجب الكرامة الملكية في المذلة المتناهية، فبينما يراك البعض مجرد شخص منظور، نرى نحن فيك اللوغوس الذي من الله الآب لتمتزج الحياة بالموت، ونحن نؤمن أن لاهوتك لم يفارق ناسوتك لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ما أعجب أن يكون المصلوب هو نفسه اللوغوس وحيد الآب والأزلي وغير المائت والواحد من الثالوث!. وما أعجب أن يكون صليبك هو عرشك يا الله إلى دهر الدهور. وما أعجب أن يكون ملكك على خشبة يا ملك الكل. وقدوس أنت لأن لا يمكن للموت أن يمسكك وهو لا يعرفك.

ما أعجب أن تأتى بيننا لتقدم ذبيحة نفسك عن الجميع، لأنه كان ضروريًا أن يوفى الدين الذي استحق على الكل إذ استحقوا الموت بسبب الخطية!. وما أعجب أن تسلم جسدك للموت لكي تحرر البشرية كلها من معصيتها القديمة ولتظهر أنك أقوى من الموت بقيامتك بعد أن تممت الموت نيابة عن الجميع لتوفى الدين المستحق عليهم.

ما أعجب أن يكون موتك أصل ورأس ومبدأ الحياة لنا، فذبيحتك وضعت حدًا لحكم الموت الذي كان قائمًا ضدًا لنا، ووضعت لنا مبدأ الحياة برجاء القيامة من الأموات الذي أعطيته لنا! . وما أعجب أن تقهر الموت وتشهر به على الصليب فلم يعد للموت سلطانًا بل قد مات موتاً حقيقيًا.

ما أعجب إظهارك لمجد لاهوتك قبل آلامك على جبل طابور، ذلك المجد الذي أدهش تلاميذك، حتى عندما يرونك مصلوبا يفهمون أن آلامك كانت باختيارك! . وما أعجب تجليك وآلامك ودفنك فكلها أفعال انتصارية مُضيئة بقوة لاهوتك.

ما أعجب أن تتعب من ثقل حمل الصليب بينما أنت راحة التعابى والثقيلي الأحمال (مت ١١ : ٢٨)! . ما أعجب أن تكون كخروف سيق إلى الذبح بينما أنت راعى إسرائيل بل راعى العالم كله، وكحمل كنت صامتًا مع أنك أنت الكلمة. وما أعجب أن ينشق حجاب الهيكل في يوم صلبك لتفتح أبواب السماء السرية.

ما أعجب أن تأخذنا كلنا في حضنك على عود الصليب، لأن حبك مع دمك المسفوك وأثار المسامير في يديك وأثار طعنة الحربة في جنبك، يجعلنا حاملين في أجسادنا كل حين إماتتك، لكي تظهر فينا حياتك المجردة من سطوة الموت، ونبلغ في الدهر الآتي إلى أن نصير على مثالك (١يو ٣ : ٢)! .

ما أعجب أن الآب السماوي تقبل ذبيحتك يا يسوع إلهي ليس لأنه كان محتاجًا إليها، بل لأنه في تدبيره كان لابد أن يتقدس من خلال بشريتك! . ما أعجب أن تدعونا لنفسك من خلال خلاصك العجيب الذي أكملته لمجدك.

ما أعجب صعودك على الصليب، وما أعجب حوادث الصلب وأدواته وظروفه ومناسباته وأقواله وأعماله التي هي صدى تصويري للنبوات القديمة، فصليبك هو مركز الحياة والموت معا، وصعودك على الصليب هو حكم ببراءة الإنسان إذ لا دينونة الآن على الذين هم فيك يا يسوع المصلوب!. وما أعجب خشبة صليبك المحيية التي صارت علامة نصرة وافتخار (ارتفاع على الصليب ارتفاع بالقيامة وارتفاع بالصعود).



الصعود على الصليب

ما أعجب صعودك على الخشبة بينما ملعون كل من عُلق عليها (تث ٢١ : ٢٣)، (غل ٣ : ١٣)، لكنك لم تُمسك يا رب في اللعنة بل حملتها وألغيتها، وأعطيتنا أن لا تسود علينا الخطية لأننا تحت النعمة، وبصعودك على الصليب اشتريتنا وصنعت لنا الصلح بدمك مستهينًا بالخزي من أجل السرور الموضوع أمامك! (عب ١٢ : ٢).

ما أعجب أن تصلب عوض باراباس فتأخذ أنت موضع هذا القاتل (يو ١٩: ١٩-٢٢)!. وما أعجب أن تكون علة صلبك أنك ملك اليهود لتنهى محاولة آدم أن يكون ملكًا بدون الله، فإذا كان آدم الأول قد أراد أن يملك بالتمرد على الله، جئت أنت آدم الثاني لكي تملك بالطاعة والبذل (فى ٢: ٥).

ما أعجب أن تُكتب علة صلبك بثلاث لغات « العبرانية واليونانية واللاتينية » (لو ٢٣ : ٣٨)، فالأولى لغة الدين والثانية لغة الفكر، والثالثة لغة المجتمع، وكأنك أردت أن يكون هذا تمهيد لطريق الكرازة بخلاصك العجيب على مستوياته الثلاثة الدينية والفكرية والاجتماعية! . لقد أردت بتدبيرك الإلهي غير المدرك أن يكون هذا العنوان بلغاته الثلاثة إعلانًا لملكوتك جهارًا بأكثر اللغات المعروفة .

ما أعجب يوم جمعة صلبوتك! . لم يكن نهارًا عاديًا تُشرق فيه الشمس كعادتها من الشروق إلى الغروب، بل في ذلك اليوم غَيَّب الله الشمس في الظهر وقَتَّم الأرض في يوم نور (عا ٨ : ٩)، لأن أذهان صالبيك قد التحفت بالظلمة والإظلام فلم ينظروا (مز ٦٩ : ٢٣) . فما أعجبك أيها المسيح المصلوب يا من في ذلك اليوم ألبست السموات ظلامًا وجعلت المسح غطاءها (أش ٥٠ : ٣) .

ما أعجب يديك المبسوطتين على عود الصليب لتجمع الشعوب، لأن رأسك تتوسطهما فأنت إله واحد على الكل وبالكل وفي كلنا (أف ٤ : ٦)!. حيث أنك صنعت خلاصًا واحداً عندما بسطت يديك لصالبيك، لأنك أنت ذلك العبد المتألم الممدود الذراعين لخلاص كل الشعوب، والذي على امتداد ذراعيه سيثبت بره وحقه نورًا للأمم .

ما أعجب أن تحيط بك ثيران كثيرة وأن توثق كذبيحة تُربط على قرون المذبح، وما أعجب أنهم قد ثقبوا يديك ورجليك وأحصوا عظامك! . وما أعجب أن يحصوك مع الأثمة وينظرون إليك ويتفرسون فيك . وما أعجب أن يقتسموا ثيابك بينهم وعلى لباسك يقترعون . وما أعجب أن يجعلوا في طعامك علقمًا وفي عطشك يسقونك خلاً . وما أعجب أن تحفظ جميع عظامك وواحدة منها لا تنكسر (مز ٢٢) .

ما أعجبك يا رب وأنت مُسمَّر على الصليب كمن تقول لنا : « لا شيء يمكنكم أن تصنعوه بي قادر أن يوقف محبتي من نحوكم. من الممكن أن تضربوني وتسحقوني

وتجلدونني، ويمكنكم أن تصلبونني، لكنني لن أتوقف عن محبتكم، هذا هو عظم محبتي لكم.. يا أبتاه اغفر لهم (لو ٢٣ : ٣٤)»!. إن ما حدث على الجلجثة كان نافذة يمكننا أن نرى من خلالها قلب المحب المتألم من أجلنا. لقد قدم الإنسان لله ذبائح كثيرة لعدة قرون خلت، أما أنت يا رب فما أعجب ذبيحتك على الجلجثة التي قدمت فيها ذاتك فدية عن الإنسان، وهذا هو حبك العجيب لكل واحد منا.

ما أعجب صليبك وآلامك التي جمعت الجرح والدواء معًا، المرضى والطبيب، فما قد سقط في الموت أقمته من جديد إلى الحياة، وما وقع تحت الفساد طردت الفساد عنه!. لقد ظهرت كأنك أُمسكت في الموت بينما أنت أقوى من الموت. أرادوا أن يحرموك من الحياة وأنت معطى الحياة. إنه سر اتخاذك أيها الكلمة للجسد الإنساني لتصنع سر الفداء.

ما أعجب أن تُصلب بين لصين، واحد عن يمينك والآخر عن يسارك، بينما أنت سيد عظيم ورب وفادى!. وما أعجب أنهما احتلا اليمين واليسار لك يا رب عوض يعقوب ويوحنا. وما أعجب أن الذي صُلب على يسارك كان يعيرك لكي تحصى مع أثمة ليس بسبب اللصين بل من أجل أنك حُسبت خاطئًا من الخطاة بل أخطى الخطاة، بل وأنت الحامل للخطاة ولخطاياهم معا. وما أعجب هذا اللص الذي آمن في الوقت الذي فيه فشل المعلمون، واعترف بذاك الذي رآه مسمرًا على الصليب ولم يره قائمًا أو ملكًا. وما أمجدك وأعجبك يا يسوع المصلوب لأنك جلبت اللص المصلوب معك من الصليب إلى الفردوس (لو ٢٣ : ٣٩-٤٣).

ما أعجب أن تُصلب مع لصين ـ ومن أجلهما ـ حتى أن أيًا من يقبلك منهما ترتفع به إلى فردوسك!. ما أعجب أن تفتح باب الفردوس للص وأنت معلق على الصليب بينما هو لم يراك متجليًا على جبل طابور، لكنه رأى المسامير والصليب والهُزء، وأبصر صليبك وعرش قضائك الذي صلبت عليه أيها الديان في الوسط،

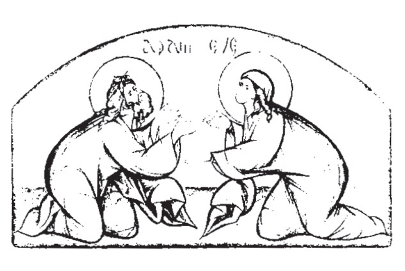
لكنه آمن فخلص، والآخر جدف فدين، لتتأكد الخليقة كلها من أنك ديان الأحياء والأموات، نعم فالبعض سيكون عن يمينك والآخر عن يسارك.

ما أعجب أن يجدف عليك وأن تتهم بأنك لا تقدر أن تخلص نفسك بينما أنت وضعت ذاتك بإرادتك وسلطانك وحدك لترضى مشيئة أبيك، وأنت القادر أن تحضر جيوش من الملائكة لتهلك الأثمة، لكن كان يجب أن تشرب الكأس التي يريد الآب أن يقدمها لك!.

ما أعجب أن تُصلب وأنت العود الرطب (يو ١٨ : ١١) الذي تحمل أوراقًا وثمار وأزهار التي هي تعاليمك وقوة لاهوتك ومعجزاتك التي لا يُنطق بها!. حقيقة أنك العود الرطب لأنك أنت الحياة وقوة الطبيعة الإلهية أما نحن البشر فنُدعى العود الجاف، ولكن بك تكون لنا الجرأة والقدوم عن الثقة (أف ٣: ١٢).

ما أعجب أن يتمدد جسدك على خشبة الصليب وأنت الحمل الذي بلا عيب ولا دنس، بينما صنعت هذا التدبير الخلاصي لتجعل حياة البشر تعبر من الشر إلى الخير!. وما أعجب أن يموت الحمل الإلهي نحو المساء لأن آلامك تمت في آخر الزمن حيث مساء العالم، فليس في قدرة أحد آخر أن يجعل المائت غير قابل للموت سواك أنت يا ربي يسوع المسيح إذ أنت «الحياة نفسها» (يو ١ : ٤)، (يو ١١ : ٢٥)، (يو ١٤ : ٦)، (١يو ١ : ٢) يا صاحب الاسم العجيب.

لقد حملت حزني لتهبني سعادة ونزلت حتى هوة الموت لترجعنا للحياة ثانية، وتألمت لتنصرنا على ألمنا وحزننا. إنك تتألم لا بسبب ضعفك بل بسبب ضعفاتنا، وهذا الضعف يا ربي أخذته لأجلي وأنت القدير.



آدم وحواء

أن تُصلب على رابية الجلجثة في المكان الذي دُفِنَت فيه جمجمة آدم، وهكذا صار مكان صلبك هناك حتى يتقابل معطى الحياة مع معطى الموت لتنتصر الحياة بالنهاية! . إن رفع صليبك في موضع الجمجمة كان لتهب حياة للعظام الجافة الميتة ولكي لا يعود بعد في آدم يموت الجميع (١كو ١٥ : ٢٢) إنما فيك يحيا جميعنا ونشفى من لدغة الحية القديمة. وما أعجب أن ترتفع على شجرة الصليب في الجمجمة لتهب حياة لآدم فاقد الحياة بسبب أكله من الشجرة.

ما أعجب أنك سحقت إبليس (عب ٢ : ١٤) بينما آدم الأول غلبه إبليس! . وما أعجب أنك قهرت الموت ودست شوكته (١كو ١٥ : ٥٤) بينما آدم الأول قد مات. ما أعجب أنك أبطلت الخطية بذبيحة نفسك (عب ٩ : ٢٦) بينما آدم الأول أوجد الخطية. ما أعجب أنك فتحت الفردوس (لو ٢٣ : ٤٢) بينما آدم الأول أغلقه (تك ٣ : ٢٤) وبما أن صلبك وموتك كان يوم الجمعة فلا يُستبعد أن يكون موت آدم (الموت الروحي) وطرده قد كانا في يوم جمعة أيضًا.

ما أعجب أن تدخل بوتقة الألم بينما لم تكن قد ارتكبت أية خطية إنما صنعت كل ذلك حبًا فينا! . وما أعجب آلامك التي كانت فريدة واحتملتها نيابة عن البشرية لتحقق إرادة الآب، وعوض العصيان الذي مارسه آدم الأول جئت أنت يا رب آدم الثاني لتصحح موقفنا بتسليم إرادتك للآب أيها الابن، بل لكما مشيئة واحدة ولاهوت واحد، فلم تكن آلامك عملاً تحقق بغير إرادتك.

ما أعجب ملكك على الصليب، فبينما أراد آدم أن يكون إلهًا، لم تُرد أنت آدم الثاني أن تكون ملكًا دنيويًا ولا أن تكون مملكتك من هذا العالم، إذ أن ملكك ملك أزلي أبدي لا يكون له نهاية لأنك مُسحت بزيت البهجة أكثر من رفقائك! (عب ١ : ٩). وما أعجب ملكك على الخشبة، ذلك الملك السماوي الذي به ستأتي لتدين الأحياء والأموات ولن يكون له انقضاء.

ما أعجب مُلكك الذي اقتنيته بدمك الكريم حين اُشتُرينا بعد أن كنا مبيعين بسبب الخطية!. وما أعجب رفضك لأي ملك أرضـى، فبينما أرادوا أن يأتوا ويختطفوك ليجعلوك ملكًا (يو ٦ : ١٥) أعلنت أنك مجدًا من هذا العالم لست تقبل (يو ٥ : ٤١) لترد آدم وبنيه إلى الفردوس ملكوتك الأبدي.

ما أعجب أن يجعلوا في طعامك علقمًا وفي عطشك يسقونك خلاً ممزوجًا بالمر، لأنه كان ضرورياً ولائقًا بك لأجل التدبير أن تصير إنسانًا مثلنا، إذ أنك افتديتنا لا بأشياء تُفنى بل بدم كريم (١بط ١ : ٩)، وبالجملة رددت كل الأشياء إلى الصلاح والكمال مبطلاً تسلط الموت ولعنة الأرض وانفتاح الجحيم وإغلاق الفردوس وفساد الإنسان وتوحشه (مز ٤٩)!.

ما أعجب يديك ورجليك المثقوبتين يا مسيح الآلام!. وما أعجب المعصرة التي اجتزتها ودستها وحدك، لتحمل عارنا حيًا وميتًا، ورضيته من أيدي الأثمة، وأنت البار الذي بره أقوى من الموت لأنك بر الله، بر الحياة الأبدية، هذا ما أعلنته في صلاتك الوداعية (يو ١٧) أنك مجدت أبيك وأكملت العمل الذي أعطاه لك، لذلك تمجدت بالمجد الأزلي الذي لك، وتحمله الآن وأنت في الجسد كبر إلهي لتكون لنا برًا نعيشه ونمارسه ونقول الرب برنا (أر ٢٣ : ٩).

ما أعجب أفواههم التي فغروها عليك وما أعجب انسكابك كالماء، فآلامك وأحزانك الواقعية، سرها يدوى في عالم الإنسان حتى اليوم وإلى الأبد، إذ تزلزلت أعتاب السماء وسماء السموات لما عُلق أحد الثالوث المقدس على الصليب!!

ما أعجب أن تذوق الموت، إذ لم تبق مائتًا معنا لأنك أنت الحياة، وكنت حيًا حتى عندما ذقت الموت بالجسد في وقت الساعة التاسعة، محاربًا الموت عنا في جسدك الخاص لتُبطله وتستطيع بذلك أن تقدم لأجسادنا المائتة كمال عدم الفساد، وهكذا يصير لنا نحن أيضًا طريق الحياة!.

ما أعجب أنك يا ربي وأنت على الصليب توصى يوحنا حبيبك وتلميذك على أمك، بينما هي واقفة على رابية الجلجثة تنظر إليك وهي يجوز في نفسها السيف (لو ٢ : ٣٥)!. وها هي واقفة صامتة تشخص نحوك وقلبها يعتصر حزنًا وألماً، وبينما أنت قد سبقت ووَعّيتها تمامًا بكل ما ستجوزه إلا أن أحشاءها قد التهبت من أجل صلبوتك الذي أنت صابر عليه، أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص.

ما أعجب حملك للصليب وأنت مكلل بالأشواك، لأن بذلك كانت الرياسة على كتفك (أش ٩ : ٦)، فالصليب هو رئاستك، وإكليل الشوك هو تاج مُلكك، **وما أعجب أن تُصلب في موضع الجمجمة حيث آدم مدفون، لأنك أنت آدم الثاني الذي حررتنا من سقوط آدم الأول، وفي حنان سكبت نفسك حتى نتجمع في حضن أبيك!.**



وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف

ما أعجب صلاتك يا رب من أجل مضطهديك لأنهم لا يعرفون ماذا يعملون!! وما أعجب وعدك بالفردوس للص اليمين وأنت معلق على الصليب، إذ أنك السيد الملك. وما أعجب فرحك على الصليب بعد أن ذقت الخل لأنك قد أكملت كل النبوات قبل أن تموت (يو ١٩ : ٣٠). نعم فقد وُلدت من أجلنا وتألمت من أجلنا ومت من أجلنا ثم قمت أيضًا من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

ما أعجب أن تكون أول قدم وطئت الفردوس هي قدم هذا اللص الطوباوي ديماس الحلو اللسان والمنطق، والذي جعلته ملكًا للتائبين لتعلمنا أنه ليس من يبدأ حسنا هو الكامل بل الذي يبدأ ويكمل ويواصل إلى التمام هو الذي يربح الميراث الأبدي!.

وما أعجب صليبك لأن أسماءنا قد نُقشت عليه، وما أعجب موتك الذي يبعث الأموات إلى الحياة وما أطهر جرحك الذي يجدد القوى!. وما أعجب قطرات دمك المنسابة لأن بها تمحى خطايانا واحدة فواحدة، وما أعجب محاكمتك التي حملت فيها خطايانا بينما أنت الديان والحاكم العادل والقاضي المعين لفحص كل اتهام، وما أعجب قبولك لحكم الموت دون أن ينفصل لاهوتك قط لا عن نفسك ولا عن جسدك، إلا أنك بذلك ألغيت قانون حكم الموت الأبدي بكل مشتملاته، وما أعجب طعنة الحربة التي فتحت باب صمام الحياة ليفيض من جنبك نهر أسرار الكنيسة ويخرج منه دم الكأس لمغفرة الخطايا وماء الجرن المحيية التي للحياة الأبدية (يو ١٩ : ٣٤).

ما أعجب أن تكتب على صليبك *Titulus* «يسوع الناصري ملك اليهود» إلا أن في هذا إعلان ملكوتك، وبأنك ملكت على خشبة وأن صليبك هو عرشك وأنك لست ملكًا لليهود لكنك ملكًا للعالم كله، وملك الملوك ورب الأرباب، ملك الدهور الذي لا يفنى (١تى ١ : ١٧).

ما أعجب قولك «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧ : ٤٦) لأنك جعلت نفسك واحدًا منا تتكلم باسم الطبيعة البشرية كلها فبآلامك الإلهية وحدها تم خلاصنا وشفاؤنا، لأنك لو لم تكن قد خِفت لَـمَا كانت طبيعتنا قد انعتقت من الخوف، ولو لم تكن قد حزنت لَـمَا كنا تخلصنا من الحزن، ولو لم تكن قد بكيت بشريًا لَـمَا جفت دموعنا، وهكذا بتدبيرك الخلاصي صرت ضعيفًا في بشريتك لكي تبطل ضعفاتنا!. وما أعجب الطلبات التي قدمتها للآب في بستان جثسيماني لكي

تجعل آذان الآب صاغية لصلواتك فنأخذ نحن شجاعة لائقة بالله ولا نخاف فيما بعد من الموت.

ما أعجب أن تسند رأسك على الصليب وتسلم روحك ساكبًا إياها بنفسك في يد الآب لأنه ليس أحد يأخذها منك بل أنت تضعها بسلطانك! (يو ١٠ : ١٨). وما أعجب أن يُقال أنك أسلمت الروح بدلاً من أن يُقال أنك مِتّ، لتضع لنا بداية وأساس الرجاء الثابت. فنحن نؤمن أن نفوس القديسين عندما تفارق أجسادها الترابية تُسلم في يدي الآب المحب، ولا تكون مثل نفوس الأشرار التي تُسلم إلى عذاب لا نهاية له أي الجحيم.

ما أعجب أن يأتي يوسف الرامي ذلك الرجل البار الصالح والمشير الشريف الذي ينتظر أن يقدم على هذا العمل العظيم والجريء عندما تخلى الكل عن المصلوب، فتقدم بشجاعة يطلب الجسد المقدس ونال هذه الكرامة العظيمة!. وما أعجب أن حجر الزاوية المختار الكريم يرقد قليلاً خلف حجارة القبر بينما هو صخرة الخلاص الكلية. وما أعجب أن تُدفن في بستان يا ربي لأن ذلك خلاص لآدم الذي مات موت الخطية في بستان (جنة عدن)، فندفنك أيها السيد في بستان مثله لتزيل تبعة الجناية عنا ولتردنا إليك ثانية.



يوسف ونيقوديموس يطلبان جسد يسوع

ما أعجب أن تضع ذاتك وتأخذها بسلطانك وبحسب الوصية التي قبلتها من أبيك، حتى أنك قلت «قد أكمل» (يو ١٩ : ٣٤) ونكست الرأس وأسلمت الروح لكي بدم عهدك تطلق الأسرى الذين في الجب، وترجع إلى الحصن أسرى الرجاء (زك ٩ : ١١) وتضم الذين سباهم الشيطان وتصعد فوق جميع السموات لكي تملأ الكل ولكي تشفى لعنة الأرض!.

ما أعجب انشقاق حجاب الهيكل إلى إثنين من فوق إلى أسفل، فقد حدث هذا ليكون لنا ثقة في الدخول إلى الأقداس بدمك بعد أن كرست لنا طريقًا حيًا بالحجاب أي جسدك (عب ١٠ : ١٩)!. إنه انفتاح قدس الأقداس. فبموتك انفتح باب السموات للمرة الأولى لكي بدالتك ندخل قدس الأقداس الإلهية خلال اتحادنا بك، بعد أن فارقت نعمة الله الهيكل القديم لتفتح لنا باب الهيكل الجديد.

ما أعجب أن تُسلم روحك لله أبيك لكي بهذا تُحسن إلينا، لأن نفوس الناس في القديم كانت تُرْسَل إلى المواضع السفلية المظلمة لكي تملأ سراديب الموت، لكن منذ أن سلمت الروح فقد فتحت لنا هذا الطريق الجديد، فإننا لن نمضى إلى الجحيم بل بالحري سنتبعك في هذا أيضًا، بعد أن نكون قد استودعنا نفوسنا للخالق الأمين (١ بط ٤ : ١٩) في رجاء الخيرات العتيدة وأنت ستقيمنا جميعًا!.

ما أعجب أن موتك كان سريعًا (مر ١٥ : ٤٥) إذ أنك سلمت الروح عندما وجدت أن كل شيء قد أُكمل، لأن روحك لم تُنزع منك بل أنت الذي تنفستها خارجًا!. لقد لفظت النفس الأخير وسلمت الروح لتكمل عقوبة الموت بالجسد معنا وعنا كفارة عن خطايانا.

ما أعجب أن ترفع وتبيد في الحال حكم الموت، لأنك أعلى من الجميع: كلمة الله، فإذ قد صرت إنسانًا حققت إبادة الموت وقيامة الحياة!. وما أعجب موتك لأجل الجميع ليعيش الجميع، إذ أنك العظيم الأبدي الذي خلق الإنسان على غير فساد،

وبموتك أعطيتنا الخلود لأنك صورة الآب (كو ١ : ١٥)، وجئت إلى عالمنا لتجدد الإنسان المصنوع على صورته، كواحد قد ضل، وبك وحدك نُقضت كل أعمال إبليس (١يو ٣ : ٨).

ما أعجب أن تموت بسرعة تعجب لها بيلاطس، وما أعجب أن يأتي يوسف عضو السنهدريم والذي كان تلميذًا لك، والذي لم يكن راضيًا عن إدانتك وصلبك، وقد نال تصريحًا ليقوم بواجب دفنك ومعه نيقوديموس، وقد أحضروا معهم الكتان ومزيج من المر والعود ليكفنوك كعادة اليهود! (يو ١٩ : ٤٠).

ما أعجب أن يحملك يوسف الرامى ونيقوديموس بينما أنت الذي تحمل المسكونة كلها على كفك، وما أعجب نزولك من على خشبة الصليب بينما أنت الذي تعلق الأرض كلها على لا شيء، وما أعجب أن يحملوك بينما أنت الذي تحمل الكل فيك وتجمع الخليقة كلها في شخصك!. وما أعجب أن يأتوا إليك بالطيب والحنوط بينما أنت منبع كل الأطياب والعطور والذي تجعل البحر كقدرٍ عطّارة.

ما أعجب ما صنعته في نفوس اللص اليمين وقائد المئة وبيلاطس وكذلك نفوس يوسف ونيقوديموس اللذين ذهبا ليطلبا جسدك ولم يخافا من بطش بيلاطس وانتقام اليهود!. وما أعجب ما صنعاه: حملا الجسد وذهبا إلى البستان حيث القبر الذي نقره يوسف. ويالكرامة هذين الشيخين اللذين لمست أيديهما جسدك المصلوب ومسحت دمك المسفوك بإكرام جزيل وسخاء وحب شديد.

ما أعجب نزولك من على الصليب وانتزاع المسامير والأشواك المغروسة في جسدك بواسطة يوسف الرامى ونيقوديموس اللذين مسحا دمك الزكي الكريم وكفناك وطيبا جسدك بالعطور والأطياب!.



إنزال المسيح من على الصليب

ما أعجب نزولك من على الصليب، إذ عندما رأى قائد المئة ما كان معك، مجّد الله وشهد بالحقيقة أنك بار وأنك ابن الله، فبينما شاهد من قبل كثير من المصلوبين يموتون، كان موتك فريدا يهز أعماق القلوب، خاصة وأنك ناديت بصوت عظيم «يا أبتاه في يديك استودع روحي» (لو ٢٣ : ٤٦) وأن جموع الذين كانوا مجتمعين رجعوا بعد صلبك وهم يقرعون صدورهم!. ما أعجب انتحاب الطبيعة وانشقاق حجاب الهيكل وقت نزولك من على الصليب. فعظيم هو سلطانك أيها المصلوب. «الشمس أظلمت والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وحجاب الهيكل انشق» (مت ٢٧ : ٥١).

ما أعجب إنزال جسدك من على الصليب في اليوم السادس ووقت الغروب، لأنه يوم الاستعداد ولأنك صنعت الخليقة في ستة أيام وفي اليوم السابع استرحت!. ما أعجب أنك لم تسمح بأن يكفنك تلاميذك حتى لا يقوم الاتهام بأنهم سرقوك دون دفنك، بل كفنك رجل شريف وبار، وقد تأكد الكل من دفنك عندما ختم القبر.

وما أعجب ما قاله قائد المئة «حقًا كان هذا ابن الله»! (مت ٢٧ : ٥٤). فلقد ارتفعت يا رب لتجتذب إليك الجميع، لتجتذب هذا القائد وكثيرين ممن كانوا معه ولتجتذب اللص ديماس (يو ١٢ : ٣٢).

ما أعجب الظلمة التي سادت على وجه الأرض في وقت صلبك!. وما أعجب انقباض الدراري فلا نهار ولا ليل، نعم انتحبت الطبيعة ذاتها لموت رب الطبيعة،

إلا أن الساعات الثلاث التي سادت فيها الظلمة تحولت إلى نور يكتسح إلى الأبد، وصارت نصرة لسلطان النور.

ما أعجب عتابك للكهنة والجند والشيوخ الذين مدوا عليك الأيادي في ساعة الظلمة بينما كانوا يلتقون معك في الهيكل كل يوم ليتمتعوا بأشعة برك وإشراقات محبتك والحكمة التي كانت تخرج من فمك.

ما أعجب رأسك التي نكستها إذ أنه لم يكن لك أبدًا أين تسند رأسك، وأخيرًا سندتها على الصليب، كمن يستسلم للنوم، ثم أسلمت الروح، لأن روحك لم تؤخذ منك كأي بشر، بل أنت تسكبها بنفسك وبإرادتك، تسكبها في يد الآب، كمن يستودع وديعة!. وما أعجب قبرك الذي دفنت فيه الفساد والظلمة، وتركته منيرًا فارغًا تفوح منه رائحة أطياب وعطور الحياة.

وما أعجب موتك لأنه حياة الجميع وبه أخذنا النصرة والغلبة وسر الحياة إلى الأبد، وما أعجب رأسك التي نكستها لترفع بها رؤوسنا في قيامتك في اليوم الثالث!.

حقًا انك معي ومن أجلى تتألم، ومن أجلى ونيابة عنى وفي مكاني أنت حزين بينما لم يكن عندك سبب في نفسك يجعلك تحزن أو تتألم. فجروحي يا رب يسوع وليس جروحك هي التي آلمتك، وكما أن موتك قضى على الموت وجروحك قد أبرأت كل الجروح، هكذا أحزانك قد أزالت أحزاننا. لهذا كله أسبحك مع كنيستك: «لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين. عمانوئيل إلهنا وملكنا. قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار خلاصًا».



دفن المسيح

ما أعجب أن يكفن يوسف البار جسدك باللفائف وبالطيب التي هي جمالك وبرك غير الموصوف! . ما أعجب أن تكفن بكفن جديد وتوضع في قبر جديد بينما لم يكن لك مقبرة خاصة بك، لأن القبر يقام من أجل الذين يخضعون لقانون الموت، أما أنت فغالب الموت وليس لك مقبرة ملكًا لك.

ما أعجب أن لا تدفن مع آخرين بل تدفن وحدك، وما أعجب أن يوضع الحجر على قبرك ليكون صخرة أساس الإيمان! . ما أعجب كتانك الأبيض ورائحة أطيابك ومصاحبة الملائكة لقبرك، إذ أنك مت لتقوم من بين الأموات كعربون لقيامتنا كلنا منتصرًا على الموت والجحيم والشيطان وجميع جنود الظلمة.

ما أعجب أن تدخل بالليل إلى الجحيم لتفك قيود المأسورين في الظلمة لتنطلق بهم إلى نور الفردوس الذي بلا ظلمة. وما أعجب القبر الذي صار مصدر النور والحياة وأشرقت منه حقيقة الغفران بينما كان قبلاً مستودع الظلام والموت. وما أعجب أن يدحرج وينفتح باب القبر مهما كانت الأختام والحراسات.

ما أعجب نزولك إلى الجحيم لتحرر أسرى الرجاء (زك ٩ : ١٢) وما أعجب دخول الحياة إلى عالم الموت، حيث تزلزل الجحيم وانكسرت شوكة إبليس بافتدائك النفوس التي كانت مباعة بسبب الدين. وما أعجب الدين الذي وفيته فمزقت الصك وأرعبت قوات الجحيم وطرحت التنين وخلصت نفوس الراقدين وكرزت للأرواح التي في السجن (١بط ٣ : ١٩) لأنك صانع العجائب (خر ١٥: ١١).



نزول المسيح إلى الجحيم

ما أعجب نزولك إلى الجحيم لتنزع عار آدم وبنيه وتعتقهم من أسر العدو، لأن بيدك

تعظيم وتشديد الجميع، فليس إله مثلك حافظ العهد والرحمة! . وما أعجب عجائبك التي بها أذبت الآكام الدهرية، وبفروسيتك صنعت خلاصًا وكسرت قسى الأقوياء، ومنطقت رجالك بالقوة لأنك خرجت لخلاص شعبك ولتخلص الذين مسحتهم لأن اسمك عجيب يا رب في كل الأمم.

ما أعجب أن تنزل يا رب إلى أقسام الأرض السفلية لتعلن مجيئك لهؤلاء الذين كانوا ينتظرونك على الرجاء (أف ٤ : ٩)، وقد سبق وأخبروا بمجيئك وأطاعوا وصاياك. ما أعجب أن يكون موتك بالنسبة لهؤلاء الأنبياء والبطاركة والأتقياء شفاءً لهم ومغفرة لخطاياهم. ما أعجب أن تقول للأسرى اخرجوا وللذين في الظلمة تقدموا. ما أعجب أن تنادى على هؤلاء الآباء العظام لأنك أنت إله الكل وأعظم من الكل. ما أعجب أن تربط القوى بالصليب وتدخل بيته أي الجحيم ثم تصعد إلى العُلا ومعك الذين كانوا في قبضة الموت بسبب الحكم. لقد دمرت مملكة الموت وأطلقت أرواح أسرى الرجاء، وكسيد نزلت لكي تخلص، وكمحيي في الروح (١بط ٣ : ١٨) ذهبت لتكرز وعندئذ رآك



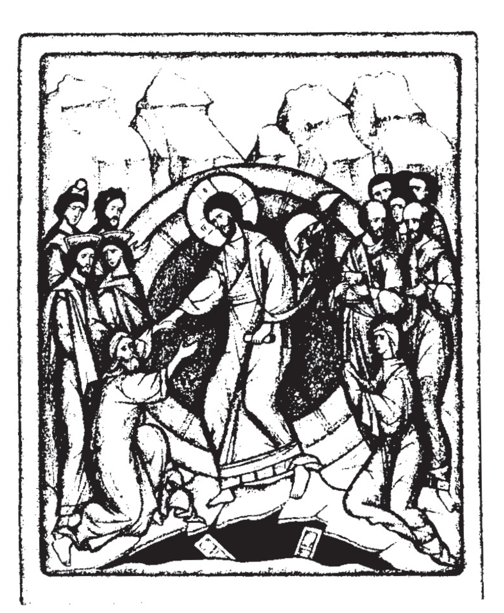
القبر الفارغ

بوابوا الجحيم فارتعدوا، أما هؤلاءِ الآباء الذين أغلق عليهم كانوا يصرخون طالبين الرحمة والخلاص حتى أظهرت لهم سر خلاصك الذي كانوا ينتظرونه بنزولك إلى الجحيم.

ما أعجب قبرك الفارغ الذي تركته لنا يا رب مفتوحًا لأنه علامة الغلبة على الموت وشهادة على قيامتك التي بها نبشر، وما أعجب محبيك الذين أتوا إلى قبرك ومعهم الهدايا والعطور والمشاعر التي هي أثمن من الذهب الفاني، يسكبونها عند جدران قبرك المجيد والممجد، في إيمان وخشوع وهم يقبلون حجارة القبر وصخرته المنقورة، وهناك يذرفون الدموع!.

ما أعجب أن القبر بعد أن كان مستودع ظلام وموت صارت تشرق منه حقيقة النور والغفران، فلا بكاء ولا نحيب بل قوة قيامتك قد سرت بالرغم من الأحجار والأختام!.

ما أعجب قبرك الفارغ الذي برهن على قيامتك التي بها نقضت أوجاع الجسد وأسست الرجاء!. وبينما جميع الأموات يُتركون هكذا إلى الأبد، قمت أنت في اليوم الثالث لتلتقي عند القبر مع محبيك وتعود سريعًا إلى التلاميذ في العلية، تاركًا الأكفان لتُحيي ضمائرنا من كل الأعمال الميتة.



قيامة المسيح

قيامتك غالبًا الموت بعد عبور حزن السبت. ما أعجب أن تقوم يا ربي والحجر مختوم على باب القبر كما وُلدت من البتول وهي عذراء (حز ٤٤ : ١)!. ما أعجب دحرجة الملاك للحجر عن باب قبرك، لكي تعلن لنا قيامتك. وما أعجب أن تكون الملائكة داخل قبرك وخارجه، فقد حولت القبر كما إلى سماء تشتهى الملائكة أن تسكن فيه بعد أن كانت القبور مسكن الأرواح الشريرة.

ما أعجب خروجك من القبر وهو مغلق!. وما أعجب النسوة اللاتي أخذن معهن الطيب بينما أنت قد قمت. **لقد قبلت الصليب كي تثبت للناس ناسوتك وقبلت القيامة كي تثبت لاهوتك**. فقيامتك والأختام قائمة كانت نظير لما تم في ميلادك من القديسة مريم البتولية. وما أعجب دحرجة الحجر بعد القيامة من أجل النسوة ليؤمنوا أن الرب قام ناظرين الحق وأن القبر بدون جسد!.

ما أعجب الملاكين اللذين كرزا بقيامتك للنسوة عند باب القبر وكأنك أشركت السمائيين في إعلان بهجة قيامتك مؤكدين أنك لست ههنا لكنك قد قمت!.

وما أعجب أن يرفع الرؤساء أبوابهم وأن ترتفع الأبواب الدهرية لكي تدخل في ملك مجدك وتجعل باب الفردوس مفتوحًا بعد أن كان مغلقا أمامنا!.

ما أعجب قيامتك من الموت ناقضًا أوجاع الموت وجراح الصليب وحقد الحاقدين، بينما أنت تعيد الإيمان للمؤمنين وتسجل الدينونة على رؤوس الذين أسلموك حسدًا، وتحول عثرة الصليب إلى فخر للذين قبلوك، وبقيت علة هلاك للرافضين وإلى يوم صليبك باق كما هو حجر عثرة للذين يرفضون وسبب مجد للذين يقبلون! (١كو ١ : ١٨).

ما أعجب ثوبك الأبيض المشرق بالفرح الحقيقي الذي جعل العدو يهرب والملكوت يستعاد!. وما أعجب قيامتك لأن فيك كانت الحياة ولأنك حي إلى أبد الآبدين ولك مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨). وما أعجب أن تغلب الهاوية وتكسر شوكة

الموت بقيامتك، بل وتصير باكورة الراقدين (١كو ١٥ : ٢٠) . ما أعجب قول الإنجيل أن تلميذك لما رأى المنديل والأكفان مرتبة هكذا « **رأى وآمن** » (يو ٢٠ : ٨) .

إن عيد قيامتك هو دُرة الأعياد وعيد الأعياد كلها ! . فما أعجب أن تُغلق الكنيسة أبواب الهيكل قبل عمل تذكار قيامتك إشارة إلى غلق أبواب الفردوس بواسطة آدم، لكي بفتحه نتذكر خلاصك وزوال العداوة التي تسبب فيها آدم وذريته بغواية إبليس . ما أعجب فتح قدس الأقداس السماوي في هذه الليلة . وما أعجب ما تردده الكنيسة عن الأبواب الدهرية وعن رفع الملوك للأبواب : فالكاهن رسمٌ للمسيح والهيكل رسمٌ للسماء، وهذه هي الترنيمة النبوية التي أنشدتها الملائكة .

ما أعجب استعداد الكنيسة لاستقبالك ظافرًا فائزًا غالبًا الموت في ليلة القيامة، إذ نحتفل ليلاً لنعاين قيامتك باكرًا والظلام باقٍ (يو ٢٠ : ١) ! . وما أعجب أن نطوف بأيقونة قيامتك لنُبشر بقيامتك ونعاين مع التلاميذ والنسوة أفراحها .





من إصدارات

إكثوس IXΞYΣ

سلسلة آباء الكنيسة

١ – القديس إيريناؤس أسقف ليون.
٢ – القديس يوحنا التبايسى.
٣ – العلامة بنتينوس السكندرى.
٤ – القديس سيرابيون.
٥ – العلامة يوسابيوس القيصرى.
٦ – القديس أموناس.
٧ – القديس ديديموس الضرير.
٨ – الآباء المؤرخون.
٩ – العلامة لاكتانتيوس.
١٠ – القديس بوليكاربوس.
١١ – القديس ميثوديوس الأوليمبى.
١٢ – القديس إيلاريون الكبير.
١٣ – والبابا آلكسندروس.
١٤– يوحنا كاسيان.
١٥– القديس إيڤاجريوس البنطى.
١٦ – أفراهات السريانى.
١٧ – القديس كيرلس الكبير.
١٨ – أمهات قديسات.
١٩ – الرسالة إلى ديوجنيتس.
٢٠ – العلامة ترتليان.
٢١ – القديس إبيفانيوس.
٢٢ – ثيوفان الحبيس.
٢٣ – البابا ديونيسيوس الكبير.
٢٤ – جهال من أجل الله.
٢٥ – القديس يوستين الشهيد والآباء المدافعون.
٢٦ – القديس إغريغوريوس صانع العجائب.
٢٧ – القديس هيلارى أسقف بواتييه.
٢٨ – القديس إيسيذروس الفرمى.
٢٩ – القديس كبريانوس.
٣٠ – القديس يعقوب البرادعى.
٣١ – قانون دفاع مجمع نيقية.
٣٢ – حياة وفكر كنيسة الآباء.

